الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

المرجع.....

حركية المكان في رواية "هجرة النار" لمحمد بن زخروفة

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:

1. ليلى سيني
2. وردة عزيون

تحت اشراف:

- د/ آمال صديقي

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

بداية نشكر الله عزوجل الذي وفقنا على الوصول إلى نهاية هذا العمل المتواضع كما لا يسعنا في هذا المقام إلا أن نتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى أستاذتنا المحترمة أمال صديقى التي أمدتنا بالإرشادات الجادة والتوجيهات القيمة

ألف تحية وتقدير لكل من قدم لنا يد المساعدة من بعيد أو قريب.

إهداء

الحمد لله الذي حقق الحلم الجميل بعد الصبر والسهر أنهينا الدرب الطويل.

أهدي ثمرة نجاحي إلى من هم سبب فرحي والدي العزيزان إلى من كانو ميلادي وملجئي.

إلى من تذوقت معهم أجمل اللحظات إلى من كانو لي نورا كلما عم الظلام واستصعبت الظروف إلى من جعلهم الله لي سندا ونعمة إخوتي سميرة، حياة، سامية، كريمة، سعاد، ومنى.

وإخوتي عبد العزيز وعبد الله وخالد.

إلى شريك الروح زوجي حميد.

إلى أخوالي وخالاتي وأبنائهم وبناتهم كل باسمه.

إلى كل الأصدقاء والأحباء وكل من ينظر إلى الوجود نظرة حب وأمل إلى زميلاتي واساتذتي الكرام في الجامعة

ليلى

إهداء

الحمد لله الذي حقق الحلم الجميل بعد الصبر والسهر أنهينا الدرب الطويل.

أهدي ثمرة نجاحي إلى من هم سبب فرحي والدي العزيزان إلى من كانو ميلادي وملجئي.

إلى من تذوقت معهم أجمل اللحظات إلى من كانو لي نورا كلما عم الظلام واستصعبت الظروف إلى من جعلهم الله لي سندا ونعمة أختي رملة.

وإخوتي رمزي فؤاد وائل.

إلى شريك الروح زوجي زاكي.

إلى بنات خالاتي أميرة وهاجر.

إلى كل الأصدقاء والأحباء وكل من ينظر إلى الوجود نظرة حب وأمل إلى زميلاتي واساتذتي الكرام في الجامعة

وردة

مقدمة

مقدمة:

تصدرت الرواية بوصفها فنا أدبيا مكانة مرموقة في العالم العربي، كونها استطاعت فرض وجودها على باقي الفنون السردية الأخرى، إذ حملت على كاهلها قضايا ومشكلات الإنسان وعصره لهذا حظيت باهتمامات كثيرة فأصبحت ديوان الحياة اليوم، لما اكتسبته من اهميته كبيرة في عصرنا الحديث، وتعد الرواية الجزائرية ذات حضور قوي في عالمنا العربي، فقد استحوذت على اهتمام الادباء والمثقفين مما جعلها في طليعة الفنون الادبية في العصر الحديث، واستطاع كثير من كتاب الرواية طرح قضايا المجتمع وافكار المذاهب الحديثة عن طريق هذا الفن الادبي الذي انتقل إلى الساحة الجزائرية. حيث ظهرت مجموعة من المؤلفات الروائية التي عمل الروائيون على ترقيتها وتطورها والابداع في عناصرها الفنية، (الشخصيات، الزمان، المكان) وقد اهتموا بعنصر المكان باعتباره أحد اهم هذه العناصر، اذ لا يمكن تصور وقوع حدث من الأحداث خارج نطاق المكان، فكل حدث لا بد أن يقع من مكان معين ولا يمكن الاستغناء عنه لأنه مرتبط بالوجود الانساني في علاقته بمحيطه أي أن المكان له علاقة بالإنسان الذي يتحرك فيه.

يقوم المكان في الرواية بوصفه عنصرا يتميز بعدة وظائف في السرد لعل اهمها تكوين إطار للحدث وتحريك خيال القارئ لتصور الامكنة واستخدام المكان مع دلالته الرمزية، (ليكون مؤشرات الاحداث) ومساحة لحركة شخوصه.

وبناء على ما سبق ونظرا للأهمية البالغة التي يحظى بها المكان في الرواية جاء هذا البحث والموسوم بـ"حركية المكان في رواية هجرة النار لمحمد بن زخروفة" الذي جسد لنا المكان عبارة عن مسرح فسيح تلعب فيه الشخصيات ادوار مختلفة من بداية الرواية إلى نهايتها.

من دوافع اختيار هذا الموضوع هناك دوافع ذاتية تمثلت في حبنا وميلنا إلى قراءة هذه الرواية، نقص الدراسات الأكادمية لهذه الرواية، اما السبب الموضوعي تمثل في أهمية النقد بموضوع المكان، وتتمثل الرواية بعدة أماكن مختلفة (القرية، الصحراء، المقبرة، الجبل. السوق، المكتب، البيت، الغرفة، السقيفة) مما يعطي صورة جمالية لأنماط المكان ودلالاته في الرواية والكشف عن حركية المكان في الرواية، وكيفية تطور الاحداث وتفاعل الشخصيات معها، وهذا ما يدفعنا إلى طرح مجموعة من التساؤلات أبرزها كيف تجلت حركية المكان:

- ما هو المكان؟
- ما هي الأماكن التي سيطرت على احداث الرواية؟
- كيف تم تنقل الراوي من مكان لاخر في الرواية؟

وقد جاءت خطة البحث بسيطو وواضحة في الإجابة عن هذه التساؤلات وهي كالآتي مقدمة وفصلين وخاتمة وأخيرا ملحق.

تناول الفصل الأول الجانب النظري وكان عنوانه ماهية المكان (قراءة في المصطلح والمفهوم) واندرج تحته ثلاثة مباحث:

المبحث الاول بعنوان مفهوم المكان لغة واصطلاحا، اما بالنسبة إلى المبحث الثاني فتجلى تحت عنوان انواع المكان. اما المبحث الثالث فكان بعنوان أهمية المكان.

اما في الفصل الثاني وهو الجانب التطبيقي فحمل عنوان تجليات المكان في رواية هجرة النار واندرج تحته ثلاثة مباحث تحدثنا في المبحث الاول عن الأماكن المفتوحة والمبحث الثاني عن الامكان المغلقة واخيرا المبحث الثالث حركية المكان في الرواية.

وقد اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي لدراسة هذا الموضوع.

ولإنجاز هذا البحث اعتمدنا على جملة من المصادر والمراجع أهمها: رواية هجرة النار لمحمد بن زخروفة، الرواية والمكان ياسين النصير، جماليات المكان غاستون باشلار، بنية الشكل الروائي حسن بحراوي، بنية الخطاب الروائي في روايات نجيب الكيلاني الشريف حبيلة.

ومن الصعوبات التي واجهتنا منها: تعدد المصطلحات والمفاهيم المتعلقة بعنصر المكان، وتعدد الدراسات التي تناولت المكان وجماليته.

وفي الاخير نتقدم بالشكر الجزيل إلى الاستاذة المشرفة امال صديقي التي افادتنا بنصائحها وارشادها لنا لاكمال هذه المذكرة.

الفصل الأول

ماهية المكان (قراءة في المصطلح والمفهوم)

المبحث الأول: مفهوم المكان

1- لغة:

ورد في لسان العرب:"في باب الميم تحت جدر (مكن) "والمكان والجمع امكنة واماكن جمع الجمع "[1]

وقد تطرق ابن منظور في باب الميم إلى تعريف المكان وفي اللغة وأدرجه تحت جدر (مكن) المكان هو الوضع الجامع للاشياء والشامل لها.

وجاء في المعجم الوسيط: " المكان جمع اماكن وامكنة. وأمكن. موضح كون الشيء والمكانة جمع والموضح. والمنزلة يقال = مكين فيه أي موجود فيه "[2]، أن المكان في المعجم الوسيط يعني موضع لكينونة الشيء.

وكذلك المكان في المعجم الوسيط (المكانة):" المنزلة ورفعة الشأن "[3] أن "المكان" في المعجم الوسيط فقد ارجعه إلى المكان والتي يقصد من خلالها المكان المرموق والعالي الشأن.

وقد وردت لقطة المكان في القران الكريم في عدة مواضع وقد خصصها الله تعالى بلفظ الصريح في قوله ﴿وإذا بدلنا اية مكان اية والله اعلم بما انزل قالوا نما انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون﴾ سورة النحل (101)، ودلالة لفظة المكان في هذه الاية هي التبديل وكذلك الانتقال من موضع إلى اخر.

---

[1]- ابن منظور: لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ط1، ج2، 1993، ص510.

[2]- ابراهيم مصطفى واخرون: المعجم الوسيط، ص309.

[3]- شوقي ضيف: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية مصر، ط1، 2004، ص882.

ويضبط المكان في المعجم الفلسفي بانه" الموضع وجمع امكنة وهو المحل lieu المحدد الذي يشغله الجسم نقول مكان فسيح ومكان ضيق وهو مرادف الامتداد " eteudue" [1]، اي أن المكان في المعجم الفلسفي هو الحاوي للاجسام سواء كان ضيقا أو واسعا.

وجاء في الصحاح للجوهري = كلمة "المكان "تحت مادة (ك و ن) " وفية المكانة المنزلة..... والمكانة الموضع "[2] ،اي أن المكان للجوهري هو الحيز والموضع والمحل.

وفي معجم الوجيز " المكان" المنزلة يقال " هو رفيع المكان والموضع جمع امكنة "[3]

وجاء في معجم الكليات المكان هو " الحاوي للشيء المستقر (امتد الإنسان من الأرض وموضع قيامة واضجاعه وهو (فعال) من التمكن لا (مفعل) من الكون. كالمقال من القول. لأنهم قالو في جمعه (أمكن والأمكنه) و(اماكن) وقالو: تمكن، ولو كان من القول لقالو: تكون"[4]

وجاء في معجم لسان العربي بمعنى: ..... فالمكان والمكان واحد التهذيب الليث. مكان في أصل تقدير المفعل مفعل، لأنه موضع لكينونة الشيء فيه انه المكان مفعل أن العرب لا تقول في معنى هو مبني مكان كذا وكذا..... فالمكان الموضح والجمع امكنة.[5] أي أن المكان معان عدة هي المنزلة والموضع والناحية والمنهج.

---

[1]– جميل صليبا: المعجم الفلسفي، الشركة العالمية للكتاب، مكتبة، دار الكتاب العالمي، لبنان 1999 م، ص412.

[2]– ابن اسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح تاج اللغة العربية والصحاح العربية، تحقيق احمد عبد الغفور (عطار، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ج1، 1999، 1979، المجلد6 ص2191.

[3]– مجمع اللغة العربي، الوجيز، مجمع اللغة اللعربية، القاهرة مصر، ط1 1983ص 546.

[4]– ابو البقاء ايوب بن موسى الحسيني: الكليات، مجمع المصطلحات الفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان، ط2 1998، ص 826–827.

[5]– ابن منظور: لسان العرب، مج13، ص510.

2- اصطلاحا:

يعد المكان من اهم العناصر التي شغلت الادباء والمفكرين وبهذا اختلفت الاراء والتعريفات الاصطلاحية حول تحديد مفهومه ومن اهم هذه التعريفات:

"يقول الشريف حبيلة " المكان ليس حيزا جغرافيا انما هو حامل تجربة انسانية تعيش في ذاكرة كل انسان يتذكرها من حين إلى حين ويجسدها المبدع في كتاباته في كل ابعادها "[1] ، أي أن المكان ليس مكانا حسيا وماديا فقط بل يشمل تجارب انسانية ناتجة عن ذاكرة كل فرد يتذكرها من وقت إلى اخر ما لها من علاقة وثيقة بالإنسان، ويقوم المبدع بحفظها وكتابتها بكل من تحمله هذه التجارب من ابعاد انسانية شعورية وحسيبة..... الخ.

أما يوري لوتمان "فقد عرفه بانه " مجموعة من الاشياء المتجانسة (من الظواهر أو الحالات أو الوظائف. أو الاشكال المتغيرة..... الاخ)، تقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة (العادية مثل الاتصال والمسافة..... الاخ)،[2] بمعنى انه عبارة عن مجموعة من الاشياء المتجانسة المختلفة تقوم على علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة.

ويذهب "ابراهيم عباس" إلى أن المكان هو مكون الفضاء ولما كان هذا المكان دوما متعدد الاوجه والاشكال. فإن فضاء الرواية هو الذي يلمها جميع انه الافق الرحب الذي يجمع جميع الاحداث الروائية فالمقهى والشارع والمنزل والساحة، كل واحد منها يعتبر مكان محددا إذا كانت الرواية تشمل هذه الاشياء كلها فانما جميعا تشكل شيئا اسمه فضاء الرواية.....)"[3] فالمكان حسب ابراهيم عباس هو " المكون لتشكيل فضاء روائي يجعله يتكون اساسا من

---

[1]- الشريف حبيلة: نسبة الخطاب الروائي في روايات نجيب الكيلاني عالم الكتب الحديث، ط1، 2010 ص 190.

[2]- يوري لوتمان واخرون: جماليات المكان، ترجمة سيزا قاسم، دار قرطبة، الدار البيضاء، ط2، 1988، ص69.

[3]- ابراهيم عباس: الرواية المغاربية (تشكيل النص السردي وضوء البعد الايديولوجي) دار الرائد للكتاب الجزائر، ط1، 2005، ص2018.

الكلمات التي بدورها تتضمن كل المشاعر التي تتضمنها اللغة ليصبح الفضاء سردا نتيجة تعبيره عن العلامات اللغوية وغير اللغوية، أي متعدد الاوجه والأشكال التي تجمع جميع الأحداث الروائية.

اما حميد الحمداني فقد عرفه بانه " العالم الاوسع الذي يشمل مجموع الاحداث الروائية ويشمل جميع الاشياء المحيطة بنا فالمقهى أو المنزل أو الشارع أو الساحة كل واحد منها يعتبر مكانا واحدا "[1] أي أنه يرى أن المكان الروائي يتاسس في خيال القارئ وليس في العالم الموضوعي، فاللغة الروائية واستعمال الياتها الخاصة تعمل على أن تستنفع من المكان الواقعي يرتبط بالإنسان من علاقة ولهذا تجعل المكان الواقعي فيما يربطه بالإنسان من علاقة ولهذا تجعل المكان شكلا من اشكال التمثيل للعالم الواقعي، كما يضم مجموع الوقائع والاشياء التي تحيط بنا في العالم الخارجي.

ويعرفه ياسين النصير بقوله: "المكان عندي مفهوم واضح يتلخص بانه الكيان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه وشانه شان أي انتاج اجتماعي اخر يحمل جزء من اخلاقيات وافكار ساكنيه" [2]، فالمكان يرتبط ارتباطا وثيقا بالشخصيات والاحداث والتفاعلات بين الشخصيات داخل العمل الروائي.

والمكان عند "عبد المالك مرتاض" هو " كل حيز جغرافي حقيقي من حيث يطلق الحيز في حد ذاته على كل فضاء خرافي أو اسطوري أو كل ما يند عن المكان المحسوس. كالخطوط والابعاد. والاحجام والاثقال والاشياء المجسمة وما يري عن هذا المظاهر الحيزية من الحركة والتغيير "[3] فالمكان حسب عبد المالك مرتاض ليس مجرد شكل خارجي أو شكل ثانوي

[1]– حميد الحمداني: بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1 1991، ص63.

[2]– ياسين النصير: الرواية والمكان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986، ص16–17.

[3]– عبد المالك مرتاض: تحليل الخطاب السردي (معالجة تفكيكية جمالية لرواية زقاق المدق)، ص 245.

انما هو اداة تزداد قيمتها كل ما كان أكثر نفعا داخل العمل الادبي، كما نجد الحيز في حد ذاته يضم فضائين (فضاء خرافي أو اسطوري بكل قيمة).

غاستون باشلار: " أن المكان الذي ينجذب نحو الخيال لا يمكن أن يبقى مكانا لا مباليا. ذا ابعاد هندسية وحسب، فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط بكل ما في الخيال من تحفيز، اننا ننجذب نحوه لأنه يكثف الوجود في حدود تتسم بالحماية في مجال الصور "[1] فالمكان لا يعتبر هنا مجرد حيز جغرافي يعيش فيه الإنسان بل هو كذلك *الحامل* لمشاعره و*ما تحمله* الشخصية من عواطف تجاهه من خلال تواجدها فيه، وبدوره لا يستطيع الإنسان العيش من دون مكان لأنه بوجوده وكينونته في المكان يعيد تشكيله وتحويله إلى اشكال مختلفة حسب احتياجاته الحياتية ووفق ثقافته.

والمكان عند جيرالد برانس:" هو الامكنة التي تقع فيها المواقف والاحداث المعروضة "[2] يستخلص من هذا التعريف أن المكان هو الذي يشمل مختلف الاحداث والمواقف والظروف وغير ذلك.

أما حسن البحراوي فانه ينظر المكان يعيش منعزلا عن باقي عناصر السرد انما يدخل في علاقات متعددة مع المكونات الحكائية الاخرى للسرد كالشخصيات والاحداث والرؤيات السردية"[3]، يوضح حسن البحراوي على أن المكان هو العنصر الرئيسي في العمل الادبي السردي سواء كان قصصيا أو روائيا. لا بل أن البعض يعتبره الهيكل الذي يحمل باقي عناصر العمل كالزمن والاحداث وغيرها من العناصر ولهذا يجب ربط المكان بالمكونات السردية، فلا أهمية للمكان دون شخصية حيث تقوم هذه الاخيرة بافعال تستلزم مكانا محددا.

---

[1]– غاستون باشلار: جماليات المكان، تر، غالب هلسا، مؤسسة الجامعية الدراسات والنشر والتوزيع، ط2، 1984، ص31،

[2]– جيرالد برانس: قاموس السرديات، تر السيد الامام، ميرنت للنشر المعلومات، مصر، ط1، 2003، ص182،

[3]– حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، الدار البيضاء المركز الثقافي العربي، بيروت ط1، 1990، ص26،

المبحث الثاني: أنواع المكان

يعتبر المكان من مكونات البنية الحكائية للراوي والعمل الإبداعي ونظرا لأهمية المكان لقي اهتمام كبير من طرف الدراسين والنقاد فقاموا بدراسته ووجدوا صعوبة في تحديد المكان بصفة دقيقة وموحدة ولأن تغيير الاحداث الروائية وتطورها يفرض أمكنة متعددة تتسع وتتقلص حسب طبيعة الموضوع فطريقة معالجة وتقسيم المكان تختلف من باحث إلى آخر ومن رواية إلى أخرى حيث اصبح المكان الروائي يحمل دلالات مختلفة حسب تفاعل عناصره فقد حدد مول ورومير اربعة اماكن وجميعها يتعلق بالسلطة التي تخضع لها تلك الامكنة، وبحسب حرية الفرد في التصرف في اطارها وهذه الأمكنة هي[1] :

1- عندي:

هو مكان الألفة والمكان الحميم الذي يملك المرء فيه كل سلطته، يقصد المكان الذي يمارس فيه الفرد سلطته، ويكون ذا علاقة اليفة وحميمة معه فالإنسان يعيش في بيئته (المكان الخاص) ويتحرك فيه بحرية.

2- عند الآخرين:

هو مكان مشابه للأول، لكنه يختلف في كونه يخضع لسلطة الغير وعلى الفرد الاعتراف به واحترامه ويكسب فيها الإنسان الفته وسرعان ما يخرج المرء من بيته ليصبح خاضعا للغير.

3- الأماكن العامة:

وهذه الأماكن الخاضعة لسلطة الغير العامة ويشعر الإنسان فيها بالحرية ويمكنه أن يخرج فيها من السلطة التي تحكمه، لكن الشعور بالحرية محدود كالمقهى والمتنزهات العامة.

[1]- فتيحة كحلوش: بلاغة المكان (قراءة في مكانية النص الشعري)، بيروت، ط1، 2008، ص19.

أي أنها لا تعد ملكا لاحد. بل ملكا للدولة وداخلها نجد شخصا يفرض سلطته مع انه يعد هو أيضا متحكم فيه كالشرطي الذي يتحكم في السير ويكلف بالتنظيم وفي الوقت نفسه يخضع لسلطة اقوى منه تفرض عليه قوانينها.

4- المكان اللامتناهي:

هو المكان ذو الرحابة عادة ما يلجأ اليه الإنسان اذ أحس بالضيق، حيث لا يكون هذا المكان ملجا لاحد كالبحر أو الصحراء كما أن سلطة الدولة بعيدة عنه [1].

ويقصد بهذا المكان المطلق الحر الخالي من الناس وهذه الأماكن لا يتحكم فيها أحد ولا تخضع لسلطة الدولة وقهرها، كما انها تفتقر إلى المرافقة العامة والحضارية وإلى ممثلي السلطة.

هذه الأماكن جميعها يمكن أن تعطي للقارئ تصورا عاما عن الأماكن الجغرافية التي يمكن أن تجسدها الرواية.

فالمكان مجسد في الصورة التي تقدمها الرواية، وقد يكون المكان ظاهر حيث يصفه الروائي وصفا دقيقا أو باطنيا يدفعك إلى استنباطه من خلال رموز الكلمات وتطور الاحداث. وهذه الاساسيات هي التي تكشف عن المكان وتسهم في فعالياته واعطائه دلالته داخل النص الروائي.

[1]- يوري لوتمان واخرون: جماليات المكان، ترجمة بينزا قاسم، دار قرطبة، الدار البيضاء، ط 2، 1988، ص62.

ونجد الروسي باختين: قد حدد أربعة انواع للمكان واعطى لكل منهم اسما خاصا بحسب دوره في الرواية، وهو المكان الداخلي والمكان الخارجي والمكان العادي والمكان الرابع الذي أطلق عليه فضاء العتبة [1].

1- فضاء العتبة:

هو المكان الذي يكون ممر البطل عبر تنقلاته. كما انه يتمثل في الابواب والنوافذ، والحافلات والسيارات والبواخر وهذا الفضاء يكون بوابة البطل في حركته داخل الرواية من محطة إلى اخرى.

2- المكان الخارجي:

هو المكان المفتوح الذي يخرج عن نطاق غرفة في مقابل البلد. والبلد الاصلي في مقابل بلد الغربة، وهو مكان رحب وواسع وغالبا ما نجد الفرد يتفاعل معه ايجابيا وهذا المكان المفتوح يسمح للبطل بالتنقل خارج البلد إلى بلد اخر عبر بوابة الانفتاح على أمكنة أخرى.

3- المكان الداخلي:

هو المكان المعاكس للمكان الخارجي، يتمثل الانسداد أو الانغلاق كما انه يتصف بالتحديد، وهذا لا ينفي انفتاحه على امكنة اخرى فالغرفة المحددة مساحتها قد تنقلنا عبر جدرانها إلى عوالم امكنة عديدة من خلال اثاثها أو الرسومات أو المجسمات التي تحويها وبالتالي تعطيها دلالة تفوق دلالتها الاولى.

[1]- كلثوم مدقن: (دلالة المكان في رواية موسم الهجرة الى الشمال للطيب صالح) مجلة الاداب واللغات، جامعة ورقلة الجزائر، 2005، الأثر، العدد الرابع، ص 141.

4- المكان المعادي:

هو المكان الشبيه بالداخلي أو الضيق ينعكس على حالة الفرد نفسيا فهو المكان الذي يحس بالضيق فيه وان كان واسعا كتواجد شخص ما في بلاد الغربة فمهما يحمل ذلك البلد من رحابة وامتيازات بعد ما كان ضيقا على نفسية المقيم فيه وهو المكان الذي يشعر الإنسان بالالفة بل العكس، فقد تكون هذه الامكنة الموظفة من قبل المؤلف تزخر بكثير من من الدلالات والابعاد ليس مجرد تشكيل لايقون بصري فحسب بل تكشف لنا حق عن نظرة المؤلف سواء لبيئته أو لمجتمعه.

ونجد أيضا بعض التقسيمات للمكان عند غاستون باشلار الذي قسمه إلى قسمين:

1- المكان الاليف:

هو البيت الذي ولدنا فيه. أي بيت الطفولة انه المكان الي مارسنا فيه احلام اليقضة وتشكل في خيالنا.[1]

2- المكان المعادي:

هو مكان الكراهية والصراع.[2] فالنوع الاول أي المكان الاليف حسب الراي غاستون باشلار هو البيت الذي نحس فيه بالراحة والطمأنينة والحماية الذي تربطنا بيه علاقة حميمة ويرى باشلار " أن البيت لبقديم بين الطفولة هو مكان الالفة ومركز تكييف الخيال وعندما تبتعد عنه نظل دائما نستذكره "[3] ومن خلال هذا الطرح يعتبر باشلار البيت هو الالفة الذي يوفر الحماية والامن ويظل الإنسان مرتبطا بهذا المكان فكل ما يبتعد عنه يظل يتذكره ويشده الشوق

---

[1]- غاستون باشلار: جماليات المكان ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية الدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1984، ص6.

[2]- المرجع نفسه، ص31.

[3]- المرجع نفسه، ص9.

والحنين اليه لأنه ذو علاقة وطيدة مع هذا المكان وكل مناطق الالفة موسومة بالجاذبية تظل تشد الإنسان لها.

أما النوع الثاني أي المكان المعادي فهو الذي تحس اتجاهه بالكراهية والعداء والنفور. غير أن باشلار لم يتحدث كثيرا عن هذا النوع من الامكنة في حين أسهب كثيرا في حديثه عن المكان الاليف وعن امكنة الالفة. فالامكنة المعادية هي التي تحمل تجارب الإنسان المؤلمة اتجاه ذاك المكان. فتجعل كيان الشخصية يهتز ويشعر بالرعب.

مما سبق يتبين أن باشلار يتطرق إلى مستوى أعمق للمكان الحميمي المتمثل في بيت الطفولة الاليف الذي يتجاوز في ابعاده البيت الواقعي الذي ولدنا ونشانا فيها، فهو يتحدث عن البيت الحلمي..... الذي نشعر فيه بالسكينة والراحة والطمأنينة فهناك علاقة شاعرية تربطنا بين البت الطفولي والإنسان وهي التي تضل حية وباقية في ذكرياتنا.

أي أنها تمثل السكنى من خلال الذكرى، نحيا فيها الحياة الأليفة لأن الحياة الواقعية ليس لها على الدوام امكانية التاجيل الجيد لتلك الاخلاق الحميمة والشاعرية عنده هو المكان الاليف الذي يلجا اليه الإنسان طلبا للراحة لا المكان المعادي مكان الضغط والاكراه كما قيل "أنه مكان الكراهية والصراع لا يمكن دراسته إلا في سياق الموضوعات الملتهبة انفعاليا والصور الكابوسية " [1].

وقد قدم لنا ياسين النصير في كتابه الرواية والمكان تقسيمين للمكان في الرواية:

[1]– غاستون باشلار: جماليات المكان ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت ط2، 1984 ص31.

1- المكان الموضوعي:

يبني في تكويناتاه في الحياة الاجتماعية، ونستطيع أن تؤثر عليه لما يماثله اجتماعيا وواقعيا أحيانا، اي انه المكان الواقعي الذي يملك مرجعية خارجية.[1]

2- المكان المفترض:

تتشكل أجزاء هذا المكان وفق منظور مفترض، وقد يستمد البعض خصائصه من الواقع غير انه ابن المخيلة البحتة، ويقصد بالمخيلة البحتة أنه يمتد خصائصه من الواقع إلا أنه غير واضح المعالم فالمكان في الرواية لم يعد مجرد رقعة جغرافية فقط اي شيء جامد لا حياة فيه بل أصبح ينبض بالحياة كون الإنسان دائم التفاعل معه، اذ يصب مجمل أحزانه وهمومه ومشاعره عليه.

ونجد تقسيمات اخرى للمكان عند غالب هالسا وهي تصنيفات يمكن القول انها لم تخرج عن إطار التصنيف الاول، حيث يعتبر هلسا اول الدارسين للمكان، وذلك في كتابه (المكان في الرواية العربية) حيث صنفه إلى اربعة أنواع وهي:

1- المكان المجازي:

هو المكان الذي نجده في رواية الأحداث المتتالية حيث نجد المكان ساحة الأحداث ومكملاتها، وليس عنصرا مهما في العمل الروائي، انه مكان سلبي ومستسلم يخضع لافعال الشخصيات [2]

[1]- خالدة حسين خضر: المكان في رواية الشماعية للروائي عبد الستار ناصر، مجلة كلية الادب، جامعة بغداد، العدد 103، ص 121.

[2]- محمد عزام: شعرية الخطاب السردي، دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2005، ص66.

وهو بمثابة مكان تجري فيه الاحداث ومكمل لها مثل الاشجار التي تعترض طريق البطل وتخفي الهارب، وقد يكون هذا المكان وصفا لحالة تمر بها احدى الشخصيات الروائية مثل الفقر والغنى..... ولهذا تكون صفات مثل هذا المكان من النوع الذي ندركه ذهنيا ولكننا لا نعيشه.

كما جاء في كتاب هلسا أنه مكان سلبي مستسلم، أنه خاضع لنزوات الشخصيات والاحداث الروائية إلى حد يجعل وجوده مجرد افتراض، أو توضيح لا بد منه.... وهو يقع خارج نطاق التجربة الفنية، لأنه لا يعبر عن معايشة المكان ولا يملك استقلاليته "[1].

ولهذا لا يتخذ موضعا في جدلية العمل الروائي فهو لا يملك جدلية الصور الفنية التي لا تملك استقلالها داخل العمل الفني، وليس له موضع في جدلية العناصر المكونة للرواية بسبب سلبيته واستلامه للعناصر الروائية الاخرى، مثل عناصر الاحداث والشخصيات والايقاع، وبالتالي هو مجرد فرضية.

2- المكان الهندسي:

يشير هذا المكان إلى أبعاد هندسية بعيدة عن معايشة الإنسان وذاتيته باعتبار المكان الذي تعرض فيه الرواية من خلال وصف أبعاده الخارجية بدقة بصرية وحياء، اي حين يتفكك المكان ويتحول إلى مجموعة من السطوح والالوان والتفاصيل التي تلتقطها العين مفصلة ولا تحاول أن تقيم منها مشهدا كليا، وكلما زدنا في اتقان المكان الهندسي، كلما حرمنا القارئ من استعمال خياله، وحرمنا من الأماكن التي عاش فيها.

وباعتبار أن المكان المجازي يقلب الرؤية البصرية للانسان الواقعي، فالإنسان الواقعي يرى الاشياء في البداية، ككليات ثم ينتقل بعد ذلك إلى الجزيئات فحتى نعرف حقيقة أن الذي

[1]- غالب هلسا: المكان في الرواية العربية، ترجمة جورج طرابيش، منشورات دار الاداب، دط، ص 75.

يقف أمامنا هو انسان لا نحتاج إلى الاكثار من تقديم المعلومات التفصيلية بل ندرك في لحظة خاطفة أن الذي امامنا هو انسان وندرسه كتفاصيل فيما بعد، في لحظات التامل، ولهذا المكان الهندسي يقتل الخيال وبالتالي يقف حاجزا بين المكان الروائي وامكنتنا التي عشناها.

3- المكان كتجربة معاشة:

هو مكان عاشه مؤلف الرواية، وبعد أن ابتعد عنه أخذ يعيش فيه الخيال ويعرفه باشلار" المكان الممسوك بواسطة الخيال الذي يضل مكانا محايدا، خاضعا للقياسات وتقسيم مساحات الأراضي لقد عيش فيه لا يشكل وضعي بل كل ما للخيال من تحيز وهو يشكل خاص في الغالب مركز اجتذاب دائم، وذلك لأنه يركز الوجود في حدود التنمية "[1]

إن ما يؤكد عليه باشلار هنا أن المكان في الفن ليس مكانا هندسيا خاضعا لقياسات وتقسيم مساحة الاراضي، بل هو مكان عاشه الاديب كتجربة وان المكان لا يعيش على شكل صور فحسب، بل يعيش في داخلنا كمجموعة من ردود الفعل، يتوقف عندها القارئ ليستعيد ذكرى مكانه الخاصة به ليترك أثرا في نفس الملتقى.

ويعد هذا المكان من أكثر الأماكن تأثيرا في حياة الإنسان ويبقى مخلدا ومحفورا في ذاكرته، فهو الذي يشكل دون اي مكان اخر ذاتيته، ويعد البيت أحد أهم مكان يعمل على دمج افكار الإنسان وذكرياته وأحلامه اي الماضي والحاضر والمستقبل.

[1]- غالب هلسا: مرجع سابق، ص76.

4- المكان المعادي:

هو المكان الذي ياخذ تجسداته في البحث أو المنفي أو الغربة أو في الطبيعة الخالية من البشر وهو المكان الهندسي المعبر عن الهزيمة والياس وهو المكان الذي يقف للانسان بالمرصاد ولمواجهة انسانية وقد شبهها بالمجتمع الأبوي[1].

ويقسم شجاع العاني المكان الروائي إلى أربعة اضعاف وهي:[2]

1- المكان المسرحي:

ويتميز بأنه مكان مغلق متسم بتحديد رؤيتنا له نتيجة صغره وضيقه أو نقول إنه مكان مجازي أو افتراضي، وكذلك يتميز بانه سلبي وهو تابع للأحداث والشخصيات، وأنه مجرد إطار لهما لا يتفاعل مهما، ولا يؤثر في صياغة الحبكة الروائية.

2- المكان التاريخي:

تجرى فيه تحولات تاريخية هامة ويسمى بالمكان الزماني وهو المكان إلى لا ينفصل عنه الزمان مما يوحي بأننا نعتقد بأنه ثمة مكان له علاقة بالزمان وآخر لا علاقة له.

3- المكان الأليف:

المكان الحنيني الذي يقودنا إلى زمن آخر عبر اللحظة الاتية. ونعني به كل مكان يثير الإحساس بالألفة، وكل مكان عشنا فيه وشعرنا بالدفئ والحماية بحيث يشكل هذا المكان مادة

[1]- غالب هلسا: المكان في الرواية العربية، ص77.

[2]- خالدة حسن خضر: المكان في رواية الشماعية للروائي عبد الستار ناصر، مجلة كلية الاداب، جامعة بغداد العدد103، ص 121.

لذكرياتنا، وأكثر الأماكن الفة هو البيت الي ولدنا فيه ونشانا، وفيه نجد قيم الألفة. فالبيت الذي ولدنا فيه محفور بشكل ما في داخلنا يبحث عن الطمانينة والأماكن في قلب الإنسان.

4- المكان المعادي:

وهو مكان يثير الاحساس بالضيق والعداء لدى البشر ويتمثل في السجون والمعتقلات وغيرها، وهو نفس ما ذهب اليه غالب هلسا.

أما حسن بحراوي فقد قسم المكلن إلى قسمين بحسب نمو وتطور احداث الرواية وهي:

1- أماكن الاقامة

وهي الأماكن التي يعيش فيها الفرد ويقيم فيها سواء كان مجبرا أو مخيرا. ويعطي بحراوي تعريفات اخرى تابعة لاماكن الاقامة وهي أماكن الإقامة الاختيارية كالمنزل وأماكن الإقامة الإجبارية كالسجن [1].

ومن خلال ها النمط نكتشف أن أماكن الإقامة، أماكن ثابتة وتحمي الفرد من العوامل الخارجية، إلا أن هذه الأماكن تختلف تصرفات وتموضعات الأفراد ولهذا هناك أماكن إختيارية وأخرى إجبارية، فالأماكن الإختيارية تتصرف فيها الشخصية كما تشاء. تكون تحت سيطرتها ويميزها عن غيرها في النوع والشكل واللون، فالبيت يعد هو العنصر الأساسي والضروري الذي يضمن حياة الإنسان وسيرورته على الوضع الذي يختاره هو، ويحقق فيه أحلامه ورغباته بكل حرية، على عكس الإجبارية التي تكون تحت سيطرة الغير، ويكون فيه مقيد وخاضع لسلطة الغير، كالسجن الذي يمثل الإنغلاق والإنعزال عن الأفراد والحياة الحرة. ففيه تسلب حقوق

[1]- حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، الدار البيضاء المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990، ص40.

الأفراد كما يحصل في حياته نوع من التشاؤم والإكراه بسبب الرقابة المستمرة والحرمان هذا ما جعلها تتميز عن بعضها البعض في " السجن كمؤسسة للعقاب والمراقبة والتحفيز "[1]

2- أماكن الإنتقال:

هي المسرح لحركة الشخصيات وتنقلاتها وتمثل الفضاءات التي نجد فيها الشخصيات نفسها كلما غادرت أماكن إقاماتها الثابتة مثل الشوارع والأحياء والمحلات والمقاهي [2].

هذه الأماكن تعبر عن السيرورة والحركة والحيوية، والإنتقال من هنا إلى هناك وهذا ما جعل الإنسان منتقلا بعد أن يغادر مكانه الثابت، وينتقل من حالة سكون إلى حالة حركة فمثلا خروجه إلى مكان ما تعتبر أماكن إنتقال ومرور نموذجية فهي التي تشهد حركة الشخصيات وتشكل مسرحا لغدوها عندما تغادر أماكن إقامتها أو عملها [3] وهذا ما جعل الشخصية في حرية مطلقة بانتقالها من ركن إلى أخر.

فهذه التقسيمات التي عرفها المكان في الأعمال الأدبية جعلها تتميز عن غيرها من العناصر الأخرى، ولها خصائصها وجماليتها تسمح بقوة المثل الحكائي، ويصف جماليته الفنية في النص الروائي.

وتطرقت سيزا قاسم للمكان في دراستها فكان لها سهامات كثيرة في هذا المجال في بلورة وتشكيل العمل الروائي، ولهذا حددت نوعين للمكان:

1- المكان الفردي:

هو حيز فردي يمارس فيه الفرد حياته اليومية وتجعله مقابلا للمكان الخاص.

---

[1]- حسن نجمي: شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية، ص147.

[2]- حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي ص40.

[3]- حسن بحراوي: المرجع السابق، ص40.

2- المكان الجمعي:

هو حيز جماعي تنظمه الجماعة لتحافظ على تماسكها وتناغمها وهذا المكان يكون مقابل للمكان العام [1].

فالنوع الأول من الأمكنة يخص فقط مجموعة من الافراد التي تستطيع الولوج اليه كالبيت مثلا، اما النوع الثاني فيكون متاح لكافة البشر، كالشوارع والاسواق والمساجد إلى غير ذلك من الأماكن المشاعة.

كما يمكن تقسيم المكان إلى مكان مفتوح ومكان مغلوق

1- الأماكن المفتوحة:

وهي أماكن لها أهمية بالغة في العمل الإبداعي فهي تساعد على تحديد السمة أو السمات الأساسية التي تتصف بها تلك الفضاءات وبالتالي الامساك بها هو جوهري فيها أي مجموع القيم والدلالات المتصلة بها [2].

و يكون هذا من خلال تفاعل الشخصيات فيما بينها في هذه الأماكن المفتوحة (العامة) فالأمكنة المفتوحة تكون متاحة لجميع الشخصيات ولا تحدها حواجز ،و تسمح للشخصية بالتطور والحرية كالشوارع والحدائق العامة وغيرها، والأماكن المفتوحة هي اماكن تلتقي فيها اعداد مختلفة من البشر من اجل تحقيق التواصل والقضاء على الوحدة والعزلة وهذه الأماكن جميعها متعلقة بالسلطة التي تخضع لها الأماكن " والتي لا تعد ملكا الدولة وداخلها نجد

[1]- سيزا قاسم: القارئ والنص والعلامة والدلالة، المجلس الاعلى الثقافة، القاهرة، دط، 2002، ص39.

[2]- حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، ص79.

شخصا يفرض سلطته مع انه يعد أيضا متحكما فيه كالشرطي الذي يتحكم في السير ويكلف بالتنظيم وفي الوقت نفسه يخضع لسلطة أقوى منه تفرض قوانينها".[1]

وبالتالي فهي رؤية اخرى لهذه الأماكن عكس من قالوا إنها أماكن تسمح بالحرية فقط وجعلت لها قوانين بها الا انها تبقى هذه الفضاءات المفتوحة اماكن منفتحة على الطبيعة وهي بدورها تمنح الحرية وتختلف هذه الأماكن ومظاهرها حسب أحداث النص إذ تتخذ الروايات عموما أماكن منفتحة على الطبيعة وتؤطر بها الأحداث على الطبيعة وتؤطر بها الاحداث مكانها وتخضع هذه الأماكن لاختلاف يفرضه الزمن المتحكم في شكلها الهندسي وفي طبيعتها وأنواعها وإذ تظهر فضاءات اخرى [2].

هذه الأماكن خاضعة للطبيعة بشساعتها وطلاقتها حيث تختلف من منظور إلى اخر ويتحكم في هذا الاختلاف عنصر الزمن وكذلك شكلها الذي يميز المكان من غيره، فالمكان المفتوح هو الذي تلتقي فيه انواع مختلفة من البشر ويزخر باشكال متنوعة من الحركة، فهو مساحة مفتوحة لا تحدها حدود ضيقة، الفضاءات المفتوحة تتمثل في الامكنة الشاسعة بادية للعام والخاص، وتمكن هذه الأماكن في الأسواق والشارع وتنتمي عادة إلى الأماكن العامة.

2- الأماكن المغلقة:

هي أماكن توحي بالخصوصية والعزلة والكبت حين يكون داخلها عدد محدود من البشر " وهي المكان الذي يمارس فيه الفرد سلطته، ويكون ذا علاقة اليفة وحميمة معه يحس بامتلاكه

[1]- كلثوم مدقن: دلالة المكان في رواية موسم الهجرة إلى الشمال ص142.

[2]- الشريف حبيلة: بنية الخطاب الروائي، نشر عالم الكتب الحديث، ط1، مجلد1، 2010، ص244.

وحرية التنقل فيه كالبيت الذي تربى وكبر فيه أو الأماكن الخارجة عن البيت ولكنها قريبة من نفسه الفرد، حيث تجده يتردد عليها باستمرار "[1]

إن المكان المغلق هو مكان محدد هندسيا كالبيت ويتواجد فيه لفترات طويلة قد يدل على الألفة والأمان، أو قد يكون مصدرا للخوف فالامكنة المغلقة تؤثر على أشخاصها ويؤثرون فيها بما يملكون من عادات اجتماعية واخلاقية. وهذه الأماكن متعددة منها الاليفة كالبيت الاسري. ومنها المسلية كالمقهى والملهى، وأمكنة مغلقة مخيفة كالسجن، والأماكن المغلقة تعطي خصوصية المكان للشخص، أين يستطيع استحضار الذكريات وبفضل الخيال يستطيع أن يخلق فضاءات جديدة، وهذه الفضاءات ينتقل بينها الإنسان ويشكلها حسب افكاره، والشكل الهندسي الذي يروقه ويناسب تطور عصره.

هذه الفضاءات تحمل دلالات مختلفة حيث تعبر عن الضغط وتحدد خصوصيات متنوعة في مختلف الأعمال السردية، وهذه الفضاءات المحدودة والمغلقة والمنعزلة يعبر كل منها عن ركن معين ذات دلالات معينة.

[1]– كلثوم مدقن: دلالة المكان في رواية موسم الهجرة إلى الشمال، ص142،

المبحث الثاني: أهمية المكان

يكتسب المكان أهمية كبيرة في الرواية ليس لأنه عنصرا من عناصرها الفنية أو لأنه المكان الذي تجري فيه الحوادث وتتحرك فيه الشخصيات فحسب بل لأنه يتحول في بعض الأعمال المتميزة إلى فضاء يحتوي على كل العناصر الروائية، بما فيها من حوادث وشخصيات وما بينهما من علاقات ، ويمنحها المناخ الذي تفعل فيه، وتعبر عن وجهة نظرها، ويرى حسن بحراوي أن " المكان ليس عنصرا زائدا في الرواية، فهو يتخذ اشكالا ويتضمن معاني عديدة بل انه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله "[1] لأن المكان يعتبر همزة الوصل الرابطة بين الشخصيات والزمان والاحداث لذلك فهو يعتبر عنصرا فعالا في تنظيم الاحداث بالاضافة إلى العلائق التي يقيمها بين الشخصيات والأزمنة، وان المكان هو نقطة انطلاق الكاتب وهو المكوّن الاساسي لبنية النص ككل. وبهذا يصبح المكان عنصر فعالا في الرواية وفي تطورها وفي بنائها وفي طبيعة الشخصيات التي تتفاعل معه وفي علاقات بعضها ببعضها الاخر، أي أنه عنصر يساهم في بلورة العمل الروائي. اذ يضفي عليه الجمالية وكذا الواقعية، فهو عنصر يحتضن بقية العناصر الاخرى فالاحداث تجري فيه والشخصيات تتحرك من خلاله.

فأصبح المكان بمثابة العمود الفقري الذي تبنى على أساسه الأجناس الأدبية من قصة شعر ورواية ومن دون المكان يفقد العمل الأدبي تلك الخصوصية والأصالة.

فالمكان يتشكل انطلاقا من اللغة اضافة إلى الخيال، فيغدو المكان بصورة ذهنية في مخيلة القارئ غير اننا نجد بعض الامكنة الموضفة في الرواية تكون صورة طبق الأصل

[1]– حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، ص33.

للمكان الواقعي، قد يكون هذا صحيح إلى حد ما، لكن هناك ما يجعله مختلف لأنه ينفصل عن جغرافيته، وهندسته وهو يتموقع ضمن عناصر الحكي الاخرى في النص[1].

أي أن هناك من يوظف الأمكنة في الرواية توظيفا حقيقيا ويصف الأمكنة كما هي موجودة فعلا على أرض الواقع، وهذا ما نجده في روايات نجيب محفوظ وهذا النوع من الروايات الواقعية نجد للامكنة حضورا جغرافيا وفنيا طاغيا يكاد يتعانق المكان الحقيقي "الجغرافي" بالمكان الابداعي المتخيل فيغدو المكان بطلا في الرواية وذلك من خلال ما يحفل به من أحداث ووقائع وعادات وقيم ما يفرضه أيضا من فعل وقول.

وتؤكد سيزا قاسم على أهمية المكان بالنسبة للانسان، وانه دائم الارتباط به حيث تقول " يرتبط البشر ارتباطا وثيقا وحيويا بالمكان الذين يعيشون فيه فالإنسان يعيش في جسده وبه يموت إذا اصيب بمكروه"[2].

أي أن المكان مرتبط بالإنسان ومتلصق به، وتعتبر سيزا قاسم الجسد مكان لأننا نعيش داخله.

كذلك للمكان أهمية في الرواية وذلك من خلال مساهمته في تشكيل الفن الروائي بتظافره مع بقية العناصر الأخرى. كالزمان والشخصيات والاحداث في تماسك بنيات النص وهذا ما ذهب اليه الناقد حميد عبد الوهاب البدراني حيث يرى أن أهمية المكان تكمن في الترابط البنيوي للنص والتي يحققها عنصر المكان بظافره مع بقية العناصر السردية الاخرى وذلك في قوله " تقود أهمية المكان في الرواية إلى كونه يضمن التماسك البنيوي للنص الروائي من حيث جملة

[1]– الشريف حبيلة: بنية الخطاب الروائي، ص192.

[2]– سيزا قاسم: القارئ والنص العلامة والدلالة، ص38.

العلائق النصية التي ينسجها مع قوى النص (زمن، شخصية، رؤية) فلا يمكن إدراك الزمن الا من خلال المكان وحركته وفق الارتباط الجيد بينهما فكل منهما يفترض الآخر ويتحدد به "[1].

فالمكان يتشكل كموضوع للفكر الذي يخلقه الروائي بجمع أجزائه ويحمله طابعا مطابقا لطبيعة الفنون الجميلة، فالمكان في الرواية يعكس لنا نظرة الروائي لبيئته ولمجتمعه. وذلك من خلال توظيفه لبعض الأمكنة التي تصبح دلالات تشع بمدلولات التي يرمي الروائي ايصالها للقارئ، وهذا الاخير يسعى دائما إلى فك شفرات الرواية والغازها من اجل الوصول إلى مكوناتها والغور في ثناياها، والمكان ليس الا شفرة من الشفرات التي يستعين بها الروائي لبث تصوره،كما أن له دور فعال في تفعيل العمل الأدبي والفني فهو مسرح الاحداث والهواجس التي تصنعها الذاكرة التاريخية، فمن خلال المكان يمكن قراءة وفهم الاحداث، وتفاعلات وشخصيات حركتهم مع المكان، فوظيفته هي وظيفية جمالية ودلالته ذات بعد في صنع الابداع الفني.

فالمكان ليس بمثابة الوعاء أو الإطار العرضي التكميلي، بل هو علاقة بالإنسان الجوهرية تلزم الإنسان وكيانه اذ أن هناك علاقة تأثير متبادلة بين المكان والشخصيات " اذ يعد المكان عنصر أساسيا في تشكيل بنية الشخصيات كما أنه لا يشكل إلا من خلال هذه الشخصيات له وظهوها فيه بمميزاتها والأحداث التي نقوم بها فيه" [2] وعلى غرار ذلك فان المكان يكشف عن شخصيته الإنسان لأنه يعطي قيمة من خلال التجربة كما أن ظهور الشخصيات والاحداث يساعدان على تشكيل البناء المكاني النص. فالمكان لا يتشكل الا باختراق الابطال له وليس هناك أي مكان محدد مسبقا، وانما تتشكل الامكنة من خلال الاحداث التي يقوم بها الابطال ومن المميزات التي تخصهم، فالشخصية في قيامها باي عمل ترتكز على حدود المكان الذي يتم وصفه بتقنية عالية لأنه يضمنها ويصنع الأحداث والزمان

[1]– حميد عبد الوهاب البدراني: الشخصية الاشكالية، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، بيروت، 2013، ص44.

[2]– يوري لوتمان مشكلة المكان الفني ترجمة سيزا قاسم، مجلة ألف، البلاغة والمقارنة، القاهرة، العدد السادس، 1986، ص83.

وعليه يتشكل الفضاء السردي في المكان هو الذي يبين العناصر السردية مما يجعله اطارا جامعا للعناصر القيمة.

"فالبيئة الموصوفة تؤثر على الشخصية وتحفزها على القيام بالاحداث وتدفع بها إلى الفعل حتى يمكن القول بان وصف البيئة هو وصف مستقبل الشخصية" [1].

فمن العناصر المؤثرة تاثيرا كبيرا على الطبيعة وأحداث الرواية والعمل الادبي عموما عنصر البيئة الذي يخلق الفن ويتبلور في اجزائه، وهذه البيئة هي مكان تجري فيه احداث الرواية، فهو عنصر غالب في الرواية حامل الدلالة، ويمثل محورا اساسيا من المحاور التي تدور لها عناصر الرواية، لذا يرى البعض أن العمل الادبي حين يفقد المكانية فهو يفقد خصوصيته وبالتالي أصالته، ولذلك هناك تاثير متبادل بين الشخصية والمكان الذي نعيش فيه أو البيئة التي تحيط بها هذه الاحداث وهذه الشخصية تؤدي مجموعة من الوظائف داخلها. كما تسهم في تكوين المكان وبناءه عن طريق حركتها التي تبث الحيوية فيه.

إن المكان يتفاعل مع الشخصيات داخل العمل الروائي ويسعى إلى تكوينها فكريا ونفسيا ووجدانيا. ويؤثر في انتقالها من حال إلى حال كما أنه يسهم في خلق المعنى داخل الرواية. كما أن الروائي المبدع يستطيع أن يحول المكان إلى اداة تعبيرية عن موقف الأبطال من العالم الخارجي العناصر الاخرى لأنه بمثابة مسرح الحدث في حد ذاته فكل منها يستلزم حضور الاخر كما يبرز لنا حميد الحمداني أهمية المكان والدور الذي يلعبه في الرواية اذ لا يمكن تصور حدث روائي بعيد عن المكان ،داخل العمل الروائي حيث قال " وطبيعي أن اي حدث لا يمكن أن يتصور وقوعه ،الا ضمن اطار مكاني معين "[2]، لذلك فالروائي دائم الحاجة إلى التاطير المكاني وقيمته لا تختلف من رواية لاخرى سواء كانت مألوفة أو مجهولة،و لا يمكن

[1]– حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، ص30.

[2]– حميد الحمداني: بنية النص السردي، منظور النقد الادبي، المركز الثقافي للطباعة والنشر، بيروت، 1997، ص65.

لأي حدث أن يقع الا ضمن اطار المكان المخول. في زمن بعيد. فالشخصية في الرواية تقوم على حدود المكان الذي يتم وصفه، وكذلك تحدث حميد لحميداني عن أهمية المكان فقال " أن تشخيص المكان قي الرواية ،هو الذي جعل من احداثها للقارئ شيئا محتمل الوقوع بمعنى يوهم بواقعيتها " هنا تكمن أهمية المكان من خلال القدرة التي يوظف فيها الروائي المكان بطريقة تجذب القارئ وتلمح الأحداث وهذا ما جعل الرواية اكثر ترقيا بسعة الخيال " فالمكان الذي ياسر الخيال لا يمكن أن يبقى مكانا لا مباليا خاضعا لابعاد هندسية حسب، بل هو مكان عاش فيه الناس ليس بطريقة موضوعية، وانما للخيال من تحيزات "[1].

سيزا قاسم تلفتنا إلى الدور العام الذي يلعبه عنصر الخيال الذي يفتح فكر المبدع وحتى القارئ لتخيل الامكنة والا يهام بها كانها حقيقة. فالخيال هو الذي ينقلنا إلى امكنة متنوعة العوالم بواسطة اللغة التي يعتمدها الكاتب المبدع في وصف فضاءاته، فهو اوسع من أن يكون مكانا هندسيا تحكمه لغة القياس والاحجام، بل هو مكان يخضع لرؤية خاصة تتفاعل الانساق والسياقات التاريخية والنفسية، ويعتبر عنصر المكان في الرواية هو " المكان اللفظي المتخيل، اي المكان الذي صنعته اللغة انصياعا لاغراض التخيل الروائي وحاجته "[2].

فالنص الروائي يخلق عن طريق الكلمات مكانا خياليا له مقوماته الخاصة، وأبعاده المتميزة والمكان الروائي يتشكل باللغة في فضاءاتها، وبالتالي يصبح المكان هو العمود الفقري الذي يربط أجزاء الرواية ببعضها البعض، والمكانية لا تتشكل إلا من خلال الشخصيات التي تنوء بحمل الاحداث وتكشف في الوقت ذاته عن عمق المكان وايغاله من خلال خلجاتها المتعددة التي تضفي على المكان دلالات مجازية، يحققها المؤلف من خلال حركة نزوع الشخصيات البطلة في خلق نظام مكاني، يحقق فيه المؤلف منظوره الفلسفي والجمالي.

[1]– سيزا قاسم: بناء الرواية دراسة مقارنة، الثلاثية نجيب محفوظ ص76.

[2]– سمر روحي الفيصل: ملامح في الرواية العربية، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، ط1، 1989، ص251.

أما المكان في العمل السردي الروائي والذي ياخذ اهتمام أكبر مقارنة بالقصة والمسرح ولكنه يتشكل كعنصر من بين العناصر المكونة للحدث الروائي وسواء جاء في صورة مشهة وصفي أو مجرد إطار الاحداث، فان مهمته الاساسية هي التنظيم الدرامي للاحداث فيرى شارل غريفل أن الفضاء الروائي هو الذي يكتب القصة حتى قبل أن تسطرها يد المؤلف "إن المكان في الرواية هو خديم الدراما، فالإشارة إلى المكان كافية لكي تجعلنا ننتظر قيام حدث ما، وذلك إنه ليس هناك مكان غير متورط في الاحداث"[1].

هذه الدراما تحدث بالتقاء الشخصيات الروائية فيما بينها بمكان ما وبالتالي فالمكان يمنح المناخ المناسب التي تقوم به الشخصيات بممارستها وتعبر عن وجهة نظرها وهذا أن الصلة بين الأحداث والمكان تزامنية، اذ لا نتصور النظر إلى الاحداث بمعزل يسلكه اتجاه البرد ،و هذا التلازم في العلاقة بين المكان والحدث، وهو الذي يعطي الرواية تماسكها وانسجامها ويقرر الاتجاه الذي ياخذه السرد لتشييد خطابه ومن ثم يصبح التنظيم الدرامي للحدث وهو احدى المهام الرئيسية للمكان، ولذلك يمثل المكان مكونا محوريا في بنية السرد بحيث تصور حكاية بدون مكان ولا وجود لأحداث خارج المكان، ذلك أن كل حدث يأخذ وجود في مكان مكان محدد وزمان معين.

وهذا ما يذهب إليه هنري ميتران عندما اعتبر أن " المكان هو مؤسسة الحكي. لأنه يجعل القصة المتخيلة ذات مظهر مماثل لمظهر الحقيقة "[2]، أي أن المكان يؤثر في الشخصية ويقوم بتحفيزها إلى ايجاد الاحداث، ويجعل المكان في الرواية مماثل في مظهره الخارجي للحقيقة، اي عند نزولها من مخيلة الادبي إلى أرض الواقع فالمكان هو الذي يبني العناصر السردية، مما يجعله اطارا جامعا للنعاصر الفنية بما فيها الحدث، مما يكسبه تلك الخصوصية

[1]– حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، ص30.

[2]– مهدي عبيدي: جماليات المكان في ثلاثية حنامنية، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق ط1، 2011، ص38.

والتفردية التي يمتاز بها عن غيره وفي هذا الصدد يقول ميشال بوتور " أن قراءة الرواية رحلة في عالم مختلف عن الذي يعيش فيه القارئ، فمن اللحظة الاولى التي يفتح بها القارئ الكتاب ينتقل إلى عالم خيالي من صنع كلمات الروائي، ويقع هذا العالم في مناطق مغايرة للواقع المكاني المباشر الذي يتواجد فيه القارئ"[1].

إن المساحة التي تقع فيها الأحداث والتي تفصل الشخصيات بعضها عن البعض بالاضافة إلى المساحة التي تفصل بين القارئ وعالم الرواية لها دور أساسي في تشكيل النص الروائي فالقارئ بالامساك بالرواية ينتقل من موضعه إلى عوالم شتى وهذه العوالم خيالية من صنع كلمات الروائي نفسه فالرواية رحلة في الزمان والمكان على حد سواء، فالنص الروائي يخلق عن طريق الكلمات مكانا خياليا له مقوماته الخاصة وابعاده المميزة فالروائي يصنع عالما مكونا من الكلمات، وهذه الكلمات تشكل عالما خاصا خياليا قد يشبه عالم الواقع وقد يختلف عنه، والقارئ يعيد صياغته المكان تماشيا مع شخصيته وميوله، وقد يضيف اشياء جديدة لم يتطرق لها الروائي فالقارئ منذ فتحه للرواية يدخل في عالم غير العالم الذي كان فيه، فيضيف له أشياء اخرى تلائم حالته النفسية والاجتماعية.

وللمكان أيضا أهمية في بناء الرواية لأنه بمثابة محرك لمشاعر الإنسان ولذاكرته، وكأنه شخص اخر يحكي في الشخصية فتنة التذكر، وهذا ما يؤكده حسن نجمي من خلال كتابة (الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية) في قوله " أن الأمكنة تعتبر محركا لمشاعر الإنسان ولذاكرته، فهي تعيده إلى الماضي.... فتفتح له المجال واسعا لخياله " ولهذا يمكن أن تتحرك أحداث الرواية انطلاقا مع تعلق الشخصيات لذلك المكان [2].... فالإنسان مثلا عند رؤيته لجدران المنزل القديم الذي ولد فيه وهي منهارة، وإن هذا المنزل بقي اطلالا فإنه يسترجع

[1]– سيزا قاسم: بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، ص103.

[2]– حسن نجمي: شعرية الضاء المتخيل الهوية في الرواية العربي، المركز الثقافي، الدار البيضاء، ط1، 2000، ص140.

حتما ذكريات الطفولة واضاف أن المكان قد يصبح هو الشخص وان الأمكنة اشخاص يقوله " يمكن للمكان أن يصبح هو الشخص ذاته اذ ينصهر داخل الذات الانسانية فبمجرد ذكر مكان معين حتى يتبادر إلى ذهن المستمع شخصية توطدت صلتها بذلك المكان وتركت فيها اثار طيبة "[1].

وبهذا يتحول المكان من مجرد فضاء إلى تجربة جمالية ابداعية يصورها المبدع بخياله أو واقعيته ليجعل منه مركز لاستقطاب الجميع لأنه يمثل النواة في جميع الامكنة المكونة له والمحيطة به، فهو جامع لكل الازمنة المعيشة القريبة والبعيدة والماضية والحاضرة وبهذا يحقق يحقق المكان جماليه لكونه يعيش التجربة المكانية في روايته.

فالمكان إذن عنده قوة نصية فعالة لها الدور الاساسي في النص الروائي، من خلال الشخصيات والاحداث التي تساهم في نمو وتماسك وانسجام هذا البناء المكاني في النص.

[1]– المرجع السابق، ص141.

الفصل الثاني

تجليات المكان في رواية هجرة النار لمحمد بن زخروفة

المبحث الأول: الأماكن المفتوحة

يعد المكان أهم عناصر العمل الروائي ذلك أنه يقوم بدور فعال في بنائها وتركيبها فمنه تنطق الأحداث ولهذا يعتبر عنصر فعال ومهم في تماسك شخصيات الرواية وأحداثها حيث تقيد الراوي بمجموعة من الأمكنة تنوعت بين المفتوح والمغلق والخاص والعام والداخل والخارج ولذا نرى في الرواية الواحدة تعدد الامكنة وقد اصبح هذا التعدد مرافقها لحركة الاحداث وبازدياد الأمكنة الدلالية وتزداد فعالية الشخصيات وتطور الأحداث وقد تختلف الأماكن شكلا وحجما ومساحة، منها الضيق المغلق والمفتوح والمنغلق والمنخفض وغيرها من الأشكال والانواع فالمكان المغلق فضاء ضيق ومحدد باطار تمنع اختراقه وانفتاحه، والمكان المفتوح فضاء رحب وواسع ومشع وممتد جغرافي ولكن في بعض الحالات قد يتحول الفضاء المغلق إلى فضاء مفتوح عبر اختراقه بواسطة الخيال والعكس صحيح اذ يتحول الفضاء المفتوح إلى فضاء مغلق رغم اتساعه وهذا حسب ما تضيفه الشخصية على المكان من مشاعر واحاسيس ولهذا المكان المغلق المكمل للمكان المفتوح، وله صلة وثيقة في جميع حالاتها الإجابية والسلبية

ولهذا سنتطرق إلى الأماكن المفتوحة والأماكن المغلقة في الرواية.

1- الأماكن المفتوحة:

هو " حيز مكاني خارجي لا تحده حدود ضيقة بشكل فضاء رحب وغالب ما يكون لوحة طبيعية في الهواء المطلق "[1]، لهذا فهي أمكنة انفتاح تنفتح على العالم الخارجي تعيش دوما حركة مستمرة تؤدي وظيفة مهمة في سبيل الناس إلى قضاء حواجئهم وهي كما يقول الناقد شريف حبيلة " امكنة عامة تمنح الإنسان حرية الفعل امكانية التنقل وسعة الاطلاع والتبدل " فالأماكن المفتوحة هي التي تكون منفتحة عامة أو خاصة، تتجاوز كل محدد أو مفيد نحو

[1]- اوريدة عبود: المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية دراسة بنيوية لنفوس ثائرة، ص39.

التحرر والاتساع، وتتميز بالحرية والطلاقة الواسعة وتقضي بالشعور بالعزلة وتختلف هذه الأماكن وتمظهراتها حسب أحداث النص اذ " تتخذ الروايات اماكن منفتحة على الطبيعة، وتؤطر بها احداث مكانيا وتخضع هذه الأماكن لاختلاف الزمان المتحكم في شكلها الهندسي وفي طبيعتها وفي انواعها، اذ تظهر فضاءات وتختفي أخرى " [1] ، و معنى ذلك أن الأماكن المفتوحة هي تلك الأماكن التي تلتقي فيها مجموعة من الشخصيات تكون خاضعة للطبيعة بشساعتها وطلاقاتها حيث تختلف من منظور لاخر ويتحكم في هذا الاختلاف عنصر الزمن الذي يكون المكان فيه يزخر باشكال متنوعة من الحركة، اي أن الامكنة تختلف وتتغير بفضل هذا العنصر من حيث شكلها وانواعها وطبيعتها الجغرافية.

فالأماكن المفتوحة تكسب أهمية بالغة في الرواية اذ انها تساعد على "الامساك بما هو جوهري فيها اي مجموع القيم والدلالات المتصلة بها"[2]، من خلال ما تمد به الرواية من تفاعلات وعلاقات وغبرها وتتصل هذه الأماكن بفضاءات محدودة وغير محدودة كالبحر والغابة والصحراء والشوارع والجسور..... وهي بدورها توحي بالحركة والانطلاق والانسجام مع الذات.

الأماكن المفتوحة نقيض الأماكن المغلوقة فهي دائما منفتحة على الطبيعة تظم عددا كبيرا من الأشخاص باختلاف أجناسهم وأعمارهم وبذلك تنفتح على العالم الخارجي، توحي هذه الأماكن بالاتساع والتحرر " لانها تترك الأبطال حرية الذهاب والغياب والسفر، وقد تتيح لبعضهم امكانية الطواف والجولات أيضا "[3]، كما يرى حسن بحراوي بأن أماكن الانتقال تكون مسرحا لحركة الشخصيات وتنقلاتها وتمثل الفضاءات التي تجد فيها الشخصية كلما غادرت

[1]– الشريف حبيلة: بنية الخطاب الروائي، ص244.

[2]– حسين بحراوي: بنية الشكل الروائي، ص79.

[3]– هنري ميتران واخرون: الفضاء الروائي ص23.

أماكن اقامتها مثل الشوارع والأحياء والمحطات وأماكن لقاء الناس خارجة بيوتهم كالمحلات والمقاهي... " [1]، وبهذا يكون مجالا واسعا أمام الشخصيات لتقوم بدورها وتحركاتها بحرية تامة.

وقد حاولنا من خلال دراستنا رصد أكثر الأمكنة المفتوحة ورودا في الرواية هجرة النار فكانت القرية والواحة والجبل والشارع والسوق والمقبرة لها دلالات عميقة باعتبارها أمكنة ترتبط بها الشخصيات الروائية تتفاعل وتتمكن هذه الأمكنة هي:

1- القرية:

تعد القرية فضاء مفتوحا وقد تجسد حضورها في الرواية، أو هي الحيز المكاني الخصب الذي يؤثر في الإنسان وتشده إلى الارض، وتتميز جغرافيا بامتدادها وحقولها وبساطة ابنيتها التي تعكس حياة اصحابها، حيث تعتبر القرية من أهم الأماكن التي ركز عليها الروائي كاطار تجري فيه الاحداث، بحيث تبدا الرواية بتقديم صورة عن هذه القرية فيصفها قائلا" اتسعت حدود تاس، التصقت المباني بالطريق على الجانبين يناظر الجانب اخاه ولا يختلف عنه كثيرا إلا في جزيئات ضئيلة، ترتفع المباني حاجبة ضوء الشمس عن الازقة الضيقة، الا ساعة تعامد فيها الأرض وتنتشر اشعتها ماسحة عن الجدران ندى الليل قبل أن تتخذ سبيل الزوال "[2] وهذا دليل على تنوع المباني في هذه القرية بالاضافة إلى شوارعها الضيقة الملتصقة ببعضها البعض، وتكون هذه البيوت متباينة على الشكل والمظهر الخارجي في بنائها فهذه المباني تدل على حال قاطنيها سواء كانت فقيرة أو غنية.

قدم لنا الراوي هذه القرية في البداية بوصفها اطارا جغرافيا ثم بعد ذلك أصبحت عنصرا مهما من عناصر تطور الأحداث ووقوعها في محاور الرواية، فكانت قرية تاس تكشف معاناة ومأساة سكان الجنوب في قوله " في زماننا تاس كانت تفيض بالخضرة رغم قلة موارد الرغيف.

[1]- حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، ص40.

[2]- محمد بن زخرفة: هجرة النار، الجزائر تقرأ، الجزائر الوسطى، السداسي الثاني 2020، ص 206.

إلا أن الوادي خلف الجبل كان يجود على الاهالي بخير كثير، ولما احتبس المطر وجف الوادي واستفحلت الحصباء جنان وواحات الرجال[1]، " فهذا دليل على أن قرية تاس كانت تفيض بالخيرات، ولكن الظروف الصعبة هي التي جعلتها تصبح جرداء وقاسية على الإنسان كما اصبحت الحياة فيها قليلة إلا من يمتلك الصبر والقوة يستطع مواجهة الصعاب، في قرية لا يخلو الغموض عنها في قوله " في أوقات التي خبت فيها اصوات الناس عن ذكر بوسعيد ومعها هدات خواطر اخوته درجة إلى الاذان اخبار غريبة مفادها أن بعض الفتية الغرباء شوهدو وهم يقبرون رجلا في جنح الظلام ثم وهم يسقفونه انكب عجوز عليه واخذ يلطم وجهه ويحّث التراب على رأسه، لحظتها اسر عليه رجلان وشدا منكبيه وسحباه نحو الجماعة، ثم رفعت المعاول ناحية الأكتاف وغرقوا في الظلام " [2]، فهذه الأخبار والاشاعات اصبحت على السن سكان القرية، فلا أحد يعلم ماذا يجري في هذه القرية في قوله " واظنك سمعت بأمر الرسالة الغريبة التي أخذت بعقل معلم تاس الوحيد، تم الاشاعات التي تاكل أيام الناس وتطرح في اذهانهم افكار نتنة... قبر جديد لا يعلم صاحبه ولا حافره "[3]، وفي قوله أيضا " والنار.... والنار (قاطعة الشيخ في حماس زائد) صارت حديث الناس داخل تاس وخارجها، يقولون انها نذير شؤم – اي شؤم فوق ما يعيشه الاهالي إلا أنها عصابة شر تضرم النار وتشييع بين الناس الاكاذيب لغاية دنيئة[4]، فالقرية تخفي أسرار وأحداث غير متوقعة لاهلها مثل النار التي تشتعل في كل ليلة والقبر الجديد الذي لا يعلم صاحبه ولا حافره، كما وصف لنا الراوي الخوجة عند اختفاء نوقه في قوله " الله يا خوجة، عالم بما حل لنا كنا في طريق صافية واذ بعاصفة تباغتنا، كاننا رفعنا إلى عالم آخر ولم نشهد بعد ذلك شيئا، الا ساعة استفاق واحد منا غشيته فأفاقنا ونحن في غمرة الغشية نذير رؤوسنا إلى الفلاة نحن.... نحن والشاحنات ثابتة في مكانها

[1]– محمد بن زخروفة: هجرة النار، ص30.

[2]– المصدر نفسه ص 13.

[3]– المصدر نفسه ص 31.

[4]– المصدر نفسه ص 31.

لكن النوق..... النوق.... لا أثر والريح لها وكان الصحراء ابتلعتها، ويا ليتها ابتلعتنا جميعا "[1] فهذه دلالة على غموض الأحداث والوقائع التي جرت في هذه القرية كما جرت فيها أحداث مرعبة لاهل سكانها، خاصة مع اختفاء غريب لعناصر منهم تطال يد التخريب من قبل العصابات لاكتشاف جبل الذهب في قول الراوي" لا اطيق أن ارى حال صديقي جعفر وابنه محمود وهما ملزمان على تقبل فاجعة اختفاء السيدة عابدة، كنا عائلة واحدة وملزم بعد ذلك بمغادرة تاس إلى الناحية لا أبصر خلالها حالا لهما" [2] فمنذ اختفاء السيدة عابدة لم يهدأ بال أهل السكان وأصبح أمر اختفائها غريبا ومفاجئ لهم.

وفي وصف آخر لهذه القرية التي كان باطنها يزخر باجود الخامات وأنفس المعادن، وغناها بالثروات الباطنية وهو ما اشار اليه" هنا ينام الكنز.....هنا..... هنا خلال هذه الصفحات دليل العقول الباحثة عن الذهب"[3] ولهذا تصبح هذه القرية مسرحا لصراع جماعات مختلفة، حول الذهب جماعات تختلف سياستها غير انها تتطلع ناحية هدف واحد في قوله " أن هناك غيرنا يسعى نحو مخابئ الذهب " [4].

من أجل تنقيبهم عن الذهب والبحث عن الكنوز في الصحراء أصبحت ارواح البشر قربانا للسحر والشعوذة في قوله " وما حاجاتنا منها غير جلد جبهتها المشقوق ودمها الساخن عليه " [5] فجماعة بوبكار يأخذون هذه الارواح فداءا لسحرهم للوصول إلى مبتغاهم وفي قوله أيضا هذا

[1]– محمد بن زخروفة: هجرة النار، ص41.

[2]– المصدر نفسه ص63.

[3]– المصدر نفسه ص58.

[4]– المصدر نفسه ص59.

[5]– المصدر نفسه ص63.

المحلول الذي سينهي تردد أنفاسها وسيحافظ على دمها حارا ثم نستنتجه بعد ثلاثة أيام نحو مقبرة الحوافي..... وتمتد الكف الزهرية عن موضع الحسد إلى الأمام "[1].

كما تعتبر القرية مكانا عاما يبسط أمامنا الحياة الإنسانية في طبيعتها الاولى في مساحتها، وبساطتها وعمقها من خلال أزقتها المظلمة وشوارعها الضيقة الملتفة ومرتفعاتها ومنخفضاتها وحركة اناسها اللذين يملؤون المكان بحركتهم يتحدون وهذا ما أشار إليه في قوله"حال ناس ككل مساء حينما تخف شدة القيظ وتعرج الشمس ناحية المغيب، ينفلت الصبيان من أوكارهم –التي تحفظ بالصهد إلى ساعات متأخرة من الليل يزاولون مرحهم المعتاد، ويتجمع الرجال أمام الحوانيت أو حولى المرعى يتباعون خلالها إبلهم واغنامهم إلى ساعة أن ينطفئ ضوء الشمس، فينحدرون إلى بيوتهم أو زوايا ضيقة يتابعون أحاديثهم التى لا تنتهي عن التهريب والعكسر وحال السوق وبطونهم الخاوية " [2] وتبدو القرية مكانا خاليا من البشر في النهار من شدة القيظ، ولكن في المساء يخرج الاطفال للعب، والرجال مجتمعون امام الحوانيت أو يرعون اغنامهم، ولكن في اليل يخيم الظلام الدامس لا تظهر ملامح الإنسان البعيد في قوله " قبل فجر أمس وقد عم السكون وتكاثف الظلام انتبهت إلى اصوات سير آتية من اعلى سور المقبرة، هلعت للامر وكنت سأرفع صوت الصفارة إلى أذان الحي" [3].

وفي أحداث متسارعة في القرية انتشر خبر وفاة الخوجة الذي قتله خادمه جعفر في قوله " الخوجة.... الخوجة وجد مقتولا.... قتله خادمه "[4] وفي قوله أيضا ايقتل الخادم صاحبه " [5]، فقد حزن اهل القرية على موت وفقدانسيدا من قرية تاس ورجالها"[6] وفي حديث اخر وصف لنا

[1]– محمد بن زخرفة: هجرة النار، ص89.

[2]– المصدر نفسه ص91.

[3]– المصدر نفسه ص 15.

[4]– المصدر نفسه ص 120.

[5]– المصدر نفسه ص 120.

[6]– المصدر نفسه ص 122.

حالة بوبكار ورجاله والحزن والأسى الذي خيم على وجوههم على فقدان سيد القرية في قوله " اجتمع بوبكار متعزيا برجاله على فقدان الخوجة والحزن الذي احتقن بصدره ياتي أن يحق"[1].

وقد تحدث الراوي عن قرية تلك التي كانت ماوى الحاج عمير عمير قبل أن تصبح رمادا وكثبانا رملية، كان بنعم خيراتها وثرواتها. وكانت له مكانة وهبة بين الاهالي في قوله " كان في ذلك سنة 1996 بداية من قرية ترك الموطن الذي نبت فيه، وكسبت من خلاله ثروتي وهيبتي ومكانتي بين الاهالي التي انعم بالمال والولد "[2]، وبعد عودة الحاج عمير من الحج وجد قريته خرابا في قوله " بعد أن وقفت في ذلك اليوم على خراب بيتي وجنتي" [3].

وفي إحدى الليالي اكتشف بوسعيد خلال عودته إلى بيته بتاس شاهد أشباح تتنقل بين ايديها جسما مريبا، فهرب إلى الجهة الخلفية لبيت الخوجة، فوجد نفسه في حجرة بوبكار، وفيها وجد البنت هند حاول مساعدتها لكنها بائت بالفشل في قوله " انتصب بوسعيد مشدوها بقامته تجنب الطريق راجع خطواته إلى الخلف ثم احنى جسده يتبين بين سنتار الظلام حركات اشباح تنتقل بين ايديها جسما مريبا " [4].

فالقرية لا تخلو من الحركة سواء في النهار ام في اليل لأن الشخصيات في حركة دائمة مع العالم الخارجي، فالقرية أعطى لها الروائي دلالة الخوف. والموت وكذا تحمل دلالة الغنى وكثرة المعادن والثروات الباطنية والخامات والذهب.

[1]– محمد بن زخروفة: هجرة النار، ص 123.

[2]– المصدر نفسه ص 100.

[3]– المصدر نفسه ص 101.

[4]– المصدر نفسه ص 93.

2- الصحراء

تعني الإتساع وهي المكان الذي تصعب فيه الحياة من قلة غيثها. وإرتفاع حرارتها " وفي أبعاد الصحراء تكمن قيم الطبيعة وسحرها فهي فضاء بكثبان وفضاء بواحات وفضاء بسماء وفضاء بجفاف ومطر وخيول وجمال " [1] كما جاء في الرواية " الصحراء لا يعد قاصدها بالغني ولا بالفقر، تترك له المجال لينقب عن مصيره، الإحتمالات في الصحراء تعادل عدد حبات الرمل، وقد يكبر الإحتمال ليصير كثيبا لكن قدرة تصف به الريح قبل أن تعلوه واردا جدا، لذلك عليك أن تتحمل قسوة الإحتمال الذي نستنتجه في الصحراء..... كل خطوة "[2]

وتعتبر الصحراء من الأماكن المفتوحة وهي منطقة تتميز بإتساع مساحتها الممتدة وحرارة شمسها. كما جاء في قول إبراهيم الكوني " أعجوبة الصحراء أنها تجذب، وتقفر من النبت وقد تموت أعواما كثيرة. ولكنها لا تميت أبدا " وفي قوله أيضا " الصحراء العجيبة تخلق ما يفوق تصور الإنسان"[3]، فالصحراوي لا تقيده قوانين تلزمه بالبقاء في مكان واحد فهو ينتقل من مكان لأخر طلبا للماء، ولكن العامل النفسي لدى الإنسان أحيانا هو الذي يحدد طبيعة المكان كما ورد في قوله " الصحراء هي الصحراء وأناشيدها الخالدة وجس العابرين وأن ما يقول بمعرفة الصحراء لا محل له سيدرك سرابها المفزع من يقول بمعرفة الصحراء إنما يغير رموزها ولا تثبت على خلقة واحدة " [4].

فهذا دليل على حب الصحراوي وشغفه بمعرفة الصحراء على طبيعتها الخلابة، فالصحراء تدل على التحمل غالبا بسبب قسوة طبيعتها فهي تعد منطقة صعبة بالنسبة للسكان الذين يقطنون فيها في قوله " أخبره أن الصحراء لا يوجعها أثر السير، الصحراء لا تضمن رجوع

---

[1]- ياسين النصير: الرواية والمكان، ص119.

[2]- محمد بن زخروفة: هجرة النار، ص 53.

[3]- المصدر نفسه ص 192.

[4]- المصدر نفسه ص 185.

السائر من نفس طريق ذهابه الصحراء بخمور رملها من يمجد ماضيها ويهاب مستقبلها خلالها"[1]، يبين الكاتب لنا قسوة الصحراء خاصة للذي لم يعرف الصحراء، أو يجهل ناموسها ولم يحسن التصرف معها فهي قاسية وعنيدة فلا أحد يقدر نهايتها قد تكون بعيدة وقد لا تكون ولكنها فنظر الجميع سر لا يعرف الوصول الحقيقية أحد.

فالصحراء تسحر بمنا ظرها الخلابة وتجلب إليها محترفي الصيد وهواته والباحثين عن الثروة والتنقيب بالذهب كما جاء في قوله " هو النهج الذي يتبناه اي باحث عن الثراء في الصحراء" [2] وفي قوله أيضا " كل شخص همه الثراء في الصحراء " [3] فالصحراء يزخر باطنها بأجود الخامات و أنفس المعادن مثلما كانت الصحراء لها جوانب إيجابية في كونها ثروة طبيعية و لوحة فنية في سحرها وجمالها، كما لها جوانب سلبية متمثلة في الجفاف والقحط وشدة حرارتها فندرة الماء في الصحراء تصعب على الإنسان العيش فيها فالماء هو الحياة في قوله" تطايرت أجنحة الفضول من لعينهم تحلق في إضطراب أمام عثمان منتظرة أن يروي عطشها" [4]في قوله أيضا لما إحتبس المطر وجف الواد إستفحلت الحصباء، وجنان وواحات الرجال " [5]كما تعرف بشدة قسوتها والمخاطر التي تواجه الإنسان داخلها كما جاء في الرواية "تعرف اكثر مني طبيعة الحياة القاسية حينما نغور في الصحراء"[6].

3- المقبرة:

مكان مفتوح على العالم له رموز ودلالات فالمقبرة عند ذكر اسمها نشعر بالخوف كما انها المكان الذي يجمع أو يدفن جثث الأموات فيها، اي انها تمثل عموما النهاية التي يصل

[1]- ياسين النصير: الرواية والمكان، ص37.

[2]- محمد بن زخروفة: هجرة النار، ص 56.

[3]- المصدر نفسه ص 58.

[4]- المصدر نفسه ص 197.

[5]- المصدر نفسه ص 30.

[6]- ياسين النصير، الرواية والمكان، مرجع سابق، ص101.

إليها الإنسان مهما كانت حياته، فهي الدار الأخيرة في الدنيا، كما تعتبر مكانا محترم إلا أنها في رواية هجرة النار قدت هذه المنزلة، وأصبحت بمثابة الوكر الذي يضم بشرا شبه أموات، إلا أن الفساد في هذه القرية لم يستثني حتى بيوت الموتى في غياب القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية، ونجد الروائي وصف مقبرة القرية وصفا خارجيا في قوله " المقبرة التي تفصل بينها وبين القرية طريق ترابية ترتفع عنها نحو قدمين يعطى إرتفاعها الطوب الصخري، ويمتد على أبعاده قصب أعواد السدرة " [1]فالمقبرة تقع على أطراف القرية، وهو مكان مخيف وحزين في نظر الروائي لأن مقبرة الحوافي شهدت أحداث غريبة في قوله "في الأوقات التي خبت فيها أصوات الناس عن ذكر بوسعيد ومعها هدأت خواطر إخوته درجت إلى الأذان أخبار غريبة مفادها أن بعضا من الفتية الغرباء شوهدوا وهم يقبرون رجلا في جنح الظلام "[2] وفي قوله أيضا" جالت عيناه حول مساحة القبر وأثار الحفر والسير " [3] ففي هذه الحادثة أرعبت سكان القرية، فكيف لقبر أن يفتح دون وجود جثة ،هذا ما جعل المقبرة مكان مخيف في نفسية سكان أهل القرية، فالحاج عمير لم يهدا باله من هذه الحادثة، فأراد التاكد من صحة هذه الأقاويل فطلب من الشيخ الذهاب إلى المقبرة مع بعض الرجال في قوله" كان على الشيخ أن يطلب من الحاج عمير يسبقه وينتظر قرب مدخل المقبرة أن هو خشي بطش الرجال الذين تحدث عنهم، فيما كان منه أن ينظم إليه ثلاثة رجال "[4] وفي قوله أيضا " قد نبأهم بالخوف من صعود ناحية المقبرة ثم في حركة أراد بها طرد هاجس الخوف ورفع أصبعه صوب المقبرة وشد معصم الشيخ يسحبه.....حقيقة أحس الشيخ لحظة دخوله المقبرة بأشياء تتداعى من حوله من غير أن يدركها، شيئ ما كسر الطمانينة داخله"[5] فهذا الخوف مسيطر على نفسية الشخصية لانها في

---

[1]– محمد بن زخروفة: هجرة النار، ص 13.

[2]– المصدر نفسه ص 13.

[3]– المصدر نفسه ص 13.

[4]– المصدر نفسه ص 19.

[5]– المصدر نفسه ص 20.

خلاء مخيف، يبعث الشر من كل اتجاه في المقبرة كما وصف لنا حالة الشيخ والحاج عمير، وهما داخل للمقبرة في قوله " الإثنان والثلاثة عند مدخل المقبرة، وسار الشيخ خلف الحاج عمير كان القبر في الطرف الأخير من المقبرة يطل على منحدر ينتهي عند نسخة من هذه الزاوية كان السياج مبتورا على نحو ثلاثة أمتار، وكل طرف منه يميل بشقه ناحية المنحدر وهما يقتربان من القبور ربت الشيخ على كتف الحاج عمير مستوضحا حال السياج المحرف، فادار الحاج عمير عينيه حول المقبرة ووقف مشدودا" [1] فكل هذا الخراب والفساد الذي طال المكان فقد تحولت المقبرة إلى مكان لستر وطمس اثار الجريمة حيث أن بوبكر ورجاله يقومون بإخفاء الجثث التي يستخدمونها في سحرهم في حواف المقبرة وهذا ما اشار اليه في قوله " كان ينقصنا حضورك وراحتك واستعدادك، الجثة قبرت القربان ياخذ راحته في المحلول السحري"[2] فالمقبرة علامة الرحيل والموت وهذا ما يصفه الروائي بأن مقبرة الحوافي تكاد تفيض بالموتى في قوله " قد فاضت مقبرة الحواشي بالقبور، تكاد تاجل جانبا من الطريق لول هذا المنحدر الكلسي لسويت الأرض لتصبح حدود المقبرة على مشارف السبخة" [3].

فالمقبرة مكان الإنعزال التام عن الحياة ومهما بلغ عمر الإنسان وطال يأوي اليه نهاية في المطاف.

4- السوق:

هو فضاء مكاني مفتوح " يباع كل شيئ فيه ويشتري "[4] فالسوق عموما يعتبر مكانا جماليا يقصده الإنسان لقضاء حاجياته أو العمل فيه، فالسوق له أهمية كبيرة عند العرب اضافة إلى أنه مكان للبيع والشراء فهو بؤرة لالتقاء وتبادل الأفكار، وهو المكان الذي " تلتقي فيه انواع

---

[1]- محمد بن زخروفة: هجرة النار، ص 20-21.

[2]- المصدر نفسه ص 70.

[3]- المصدر نفسه ص 200.

[4]- شاكر النابلسي: جماليات المكان الروائي، ص35.

مختلفة من البشر ويزخر بأشكال متنوعة من الحركة...) [1] ولقد شكل السوق حيزا هاما في الرواية:

في الرواية يجعل الروائي من السوق مكانا للإلتقاء الناس فيقول " الحاج عمير حارس العربات بالليل يقسم وسط السوق انه شاهد بوسعيد وهو يطوف قبيل الفجر بنحو ساعة بالمدراج يغني متمايلا كالسكران "[2] فالسوق من أكثر الأماكن التي التي تعج بالحركة فهو يزرع الأمل والحياة لأنه كلما زاد حركة السوق كلما زاد الامل بالحياة. ففيه تتم بين الناس المعاملات بالبيع والشراء تكون داخل السوق غالبا وقليلا ما تكون خارجة، اذ حدث العكس وجمدت حركة للاسواق انتشر الجوع وبالتالي الموت فالسوق دلالة على ازدهار القرية تاس فهي مقصد التجار في كل مكان فقد صور لنا الروائي السوق من خلال الجولة التي قام بها الحاج بالسوق وقد جاء في قول الراوي " وكنت خلال تلك السنوات اقضي ليلي بالسوق احرس ممتلكات الباعة، وعربات الاهالي وكان يوما أن صادفني تاجر اقمشة من ترك نزل بسوق تاس" [3].

وفي قوله أيضا " تشردي وجوعي وتيهي افضللي أن أعود إلى أرض اكلت احساد أهلي، هكذا كان الرد الذي الزمه مغادرة السوق وازمني الطبيب من جديد من الم الجراح الذي اتفق...." [4].

إن السوق مكان عام يمنع الناس حرية الفعل وامكانية التنقل وسعة الاطلاع والتبادل فهو مكان ينفتح على العالم الخارجي. يعيش دما حركة مستمرة. يؤدي وظيفة مهمة في سبيل الناس إلى قضاء حوائجهم في قول الراوي " ثم حيث تزينت قوم تاس بأفكار المدينة أصبحت لهم

---

[1]–عبد الحميد بورايو: منطلق السرد والدراسات في القصة الجزائرية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص90.

[2]– محمد بن زخروفة: هجرة النار، ص 12.

[3]– المصدر نفسه ص 101.

[4]– المصدر نفسه ص 102.

سوق كبيرة ومقاهي وبلدية برأسها شيخ هرم يدعى صهيب " [1]، و في قوله أيضا " لا تخشى البوار في العطاره للعطارة سعر تحمل المتشكي إلى باب محلك، غير انني سأكون خصما لك في تجارتك، أنت تشبث بالمحل وأنا سأحوم خلال الاسواق "[2]، كما عرف بإرتفاع الاصوات في الاسواق سواء كانت داخلية أو خارجية في قول الراوي " في وسط السوق ارتفع صوت مبحوح متعب، وقد لحق بالمنادي قلق وهو عجوز ضرير قرع باب القرن ولا يزال يتدرج ساخطا في الحياة، يرفع قريعته قاذعا صاحبه الذي غادر فجاة من غير إذن، يمد يديه باضطراب متجسس قارورات اللاقمي متخشيا من أن تسرق من أمامه "[3] فقد وصف لنا الراوي هيئة العجوز الذي كبر مع مرور السنوات، وهو لا يزال يبيع قارورات اللاقمي في السوق، فقد أصبح السوق مصدر رزق لبعض الفقراء فبالرغم من كبر سنه وعجزهم على البيع إلا أن السوق يعتبر الوسيلة الوحيدة لكسب رزقهم. والعيش في بيئة قاسية يتحملون كل الظروف الصعبة وفي قول آخر " لم يهدأ بال محمود منذ حادثة السوق، تعبث به هواجس جديدة إلى النبش عن قضايا هو في غنى عنها، الا انها نواقير الفضول تدفعه دفعا أشب نار في داخله عجز الحاج عمير بجده وهزله عن اخمادها "[4].

فمن خلال الوصف نجد أن الروائي أعطى حدثا بازرا من خلال اكتشاف محمود للمجنون عباس وهو في السوق يتجول من مكان إلى آخر، فالحادثة أفزعته لأن عباس توفي منذ زمن طويل في قوله " كان قد اختفى منذ زمن ثم عثر الرجال على عظامه امام خيمة بالخواء، لكنني في الحقيقة رأيته قبل ثلاث أيام بالسوق وهذا ما يفزعني " وهذا دليل على أن السوق يجتمع فيه كل الناس للتحول والتعرف على البضائع الموجودة فيه، من خلال السوق دل

[1]- محمد بن زخروفة: هجرة النار، ص 201.

[2]- المصدر نفسه ص 202.

[3]- المصدر نفسه ص 203.

[4]- المصدر نفسه ص 206.

الروائي أنه توجد حركة دائمة ومستمرة وفيه حرية التنقل والتطلع على العالم الخارجي، كما بين لنا صورة المجنون عباس من خلال السوق الذي لعبت الشخصيات أدوار محورية فيه ونلاحظ أن السوق مكان مرتبط بالمجتمعات وذلك بمدى تأثيرها على الإنسان البدوي، فهو مكان للتعارف والتقريب بين المجتمعات، بما ينبثق عنها علاقات بين الافراد وبين تجار السوق.

5- الجبل:

من المعروف أن الجبل هو كل ما ارتفع من الأرض وجوز علوه التل علوا وهو مكان موجود في الطبيعة، وقد ظهر في الرواية بعدة دلالات قمة الجبل هي النموذج للمكان المرتفع الذي يمثل الشموخ. ومن خلاله يستطيع الإنسان أن يتنفس الهواء النقي، وفيه يحقق الكثير من طموحاته التي لا يمكن تحقيقها إلا من خلال الصعود اليها. في قول الراوي " قوة عظيمة تتكاثف اعلى قمة الجبل الذي تطل عليه "[1] فمن المعروف أن الجبل فيه حرية مطلقة. وهو مكان للتفكير والعزلة والتأمل. لكن في هذه الرواية هو مكان للبحث عن الذهب والوصول إلى منجم الكنوز والخامات الموجودة في هذا الجبل الأسود في قوله " لم لا تكون أنت صاحب الكنز العظيم، جبل من الذهب يا محمود " [2] فالجبل في هذا القرية يحتوي على الذهب وأنفس المعادن، ولكن كان الوصول إليه غير واضح، جماعات مختلفة حول الذهب في قوله " لكن وصية معلمي "أمالو" أعظم من أن نلتقي في الماء، أكثر من ستين سنة امضاها يدافع عن مشروعيته النار التي ستقودنا ناحية جبل الذهب " [3].

كما يعتبر الجبل مكان السحر والشعوذة في قوله " تابع بشغف ابن ظفر وهو يلقي ابن صهر فنون السحر ثم أتى على موضع جانبي للجبل. ولقنه تعاويذ سنو النار ثم همودها على

[1]- محمد بن زخروفة، هجرة النار، ص 162.

[2]- المصدر نفسه ص 215.

[3]- المصدر نفسه ص 54.

صحيفة من ذهب "[1] وللحصول على الذهب يجب التضحية والمغامرة في الإنسان والحيوان في قوله " من عنزة ضامرة إلى الجبل من الذهب، يا لحظك يا ابن صهر " [2].

وقد ذكر لنا الراوي صاحب الخطوة الثانية ' وأكبر معلمي السحر والشعوذة وصاحب الثراء في قوله " في حياة الألواح السادسة رافق صاحب الخطوة الثاني بجبل من الذهب الملك حاجي كانجا مانسا موسى "[3] وفي قوله أيضا " استطاع ما نسا الوصول إلى جبل الذهب من غير أن يكشف عن خططه" [4].

كما وصف لنا الراوي حالة جعفر وسيده عند اختفاء الشاحنة في الصحراء في قوله " الشاحنة.... صاح الخادم جعفر وهو قائم على صخرة مسطحة، من الجبل الأسود "[5]، وفي قوله أيضا واصفا لحالة سيده " بينما اقلع سيده لاهثا يجري باتجاه الشاحنة كانت تحمل نوقه الذي جاء لاستعراضه في مهرجان الجمل. ولكنها اختفت على مرأى عينه، وهو ما اشار إليه في قوله " قال الخوجة القائم على مهرجان عرس الجمل بعد أن اكملا دورة حول الجبل الأسود " [6] فهذا يدل على كسر طمع الخوجة الذي انتقم منه بوسعيد، حين ارادو قتله قوله " بوسعيد..... بوسعيد ظهر سالم العقل ناحية الجبل الأسود، وهو من دبر المكيدة وسرق النوق" [7]، فالجبل اضحى مكان لصراع الشخصيات فيه. فكل شخصيات فيه، فكل شخصية لها غاية وهدف واحد هو الوصول إلى الجبل الأسود لاكتشاف الذهب. فهو دلالة على الكنز العظيم في قول الروائي " هي مرحلة التشطيب وقيام المكان، آخر إشارة في جدول الاحتمال أن يظهر

---

[1]– محمد بن زخروفة، هجرة النار، ص 163.

[2] –المصدر نفسه ص 163.

[3]– المصدر نفسه ص 164.

[4]– المصدر نفسه ص 167.

[5]– المصدر نفسه ص 36.

[6]– المصدر نفسه ص 36.

[7]– المصدر نفسه ص 116–117.

عاقل مجنونا على هيئته ثابت الخلقة، هي الاشارة وانه الجبل الأسود جبل النار والذهب[1] وهذا كان احتمال ابن الخوجة الذي ينتظر منذ زمن اشارة ما.

توصله مبتغاه وفي قوله أيضا " وقد حان زمن الاشارة لا بد من أن أسير حالا ناحية الجبل الأسود "[2] وكان ابن الشيخ إدريس يحاول الوصول إليه، كما يسعى أيضا عثمان ابراهيم ابن الخوجة فهذه الشخصيات لها هدف واحد وهو الجبل الأسود في قوله " في حين اوجف عثمان ناحية داوود، وأخذ بيده يحذوه على السير حالا ناحية الجبل الأسود ، متحايلا عليه، ينسج له افكار عظيمة فارت بالمكان وهي لا محالة اشارة لاكتشاف جبل الذهب... بعد ساعات طوال وصلا إلى محيط الجبل الأسود، بينما تراءى لهما موضع النار، أخذا يمنعان النظر ويتقدمان بحذر، وإذ بمعتز ابن الشيخ ادريس قد سند إلى قمة الجبل "[3].

[1]– محمد بن زخروفة، هجرة النار، ص 209.

[2]– المصدر نفسه ص 212.

[3]– المصدر نفسه ص 216.

6- العاصمة:

هي مكان تنقل الشخصية من مكان ضيق إلى مكان أوسع وهي تدل على التحضر والرقي والإزدهار، ففي الرواية نجد الروائي تحدث عنها بإيجاز، حيث ذكر لنا بوبكار اعطى لرجاله مهمة الذهاب إلى العاصمة في قوله " على ذكر الغد هل اتم جاسر مهمته بالعاصمة "[1] هنا الشخصية تتحرك من مكان إلى آخر والهدف من الذهاب إلى العاصمة، هو احضار الدكتور فوزي مع القربان لإستكمال السحر في قول الراوي " يفصلنا عن الشهر الجديد ثلاثة أيام، ومنه إلى موعدنا عشرة أيام كاملة، سيسير قبل يوم من اليوم السابع من الشهر جاسر وعاطف إلى العاصمة، فيضعان قيمة لكل خطوة يخطو نهارا " [2].

المبحث الثاني: الأماكن المغلقة

المكان المغلق:

يمثل غالبا الحيز الذي يحوي حدودا مكانية تعزله عن العالم الخارجي ويكون محيطه أضيق بكثير من المكان المفتوح، فقد تكون الأماكن الضيقة مرفوضة لأنها صعبة الولوج وقد تكون مطلوبة لأنها تمثل الملجأ والحماية التي يأوي اليها الإنسان بعيدا عن صخب الحياة " [3] فالأماكن المغلقة أماكن محدودة بواسطة أبعاد معلومة، وهي ترمز النفي والعزلة والكبت، إذ الانغلاق في مكان واحد تعبير عن العجز وعدم القدرة على الفعل والتفاعل مع العالم الخارجي.

والأماكن المغلقة متعددة منها الأليفة والتي تعود إليها آخر النهار لترتاح من تعب وشقاء اليوم كالبيت رمز الدفئ والاستقرار التفسي والجسدي، ومنها المخيفة كالسجن والحديث عن الأمكنة المغلقة هو حديث عن المكان الذي حددت مساحته ومكوناته كمكان العيش الذي يأوي

[1]- محمد بن زخروفة: هجرة النار، ص206.

[2]- المصدر نفسه ص 87.

[3]- أوريدة عبود: المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية دراسة بنيوية لنفوس تائرة، ص47.

إليه الإنسان ويبقى فيه لفترات طويلة من الزمن سواء بإرادته أو بإرادة الأخرين، لذا فهو المكان المؤطر بالحدود الهندسية والجغرافية، الذي قد يكشف عن الألفة والأمان أو قد يكون مصدر الخوف والذعر لذا " يبرز الصراع الدائم القائم بين المكان كعنصر فني وبين الإنسان الساكن فيه، ولا يتوقف هذا الصراع إلا إذ بدأ التألف يتضح أو يتحقق بين الإنسان والمكان الذي يقطنه "[1] فالإنسان كشخصية تعيش فيه حيث يألفه ويسكن إليه يتحرك فيه أكثر فتنشأ بينه وبين المكان الجديد غير المألوف علاقات جديدة، و يصنع ذكريات خاصة به ومن خلال هذه العلاقات، والذكريات يبدأ التألف يتحقق فيه احساسا خاصا حيث ينطوي فيه الأمل بالإرتياح والمتعة يقول باشلار قي هذا الصدد " الوحدة المنغلقة داخل جدرانها افكار مختلفة "[2] ومن هذا الأساس بدأ باشلار إلى أن المكان المغلق تختلف فيه افكاره من أمكنة إلى أخرى على عكس المكان المفتوح الذي يمتاز بالتحرر تختلف المشاعر والافكار فقد يحمل البيت مشاعر الراحة كما قد يكون محملا بالذكريات ، و" المكان المغلق دلالة على الواقع المرير والانغلاق على الذات، واحباط الإنسان في عدم قدرته على التفاعل مع العالم الخارجي لفضاء البيت الذي فيه الألفة والتي يتذكرها مهما ابتعد عنها "[3].

والأمنكة المغلقة تؤدي دورا محوريا في الرواية لانها ذات علاقة وثيقة بتشكيل الشخصية الروائية. وتتفاعل هذه الأمكنة المغلقة مع الامكنة المفتوحة بإجابيتها وسلبياتها وتجلياتها، فتكون هذه الأمكنة مليئة بالافكار والذكريات والآمال، فتكون الأماكن المغلقة هي اماكن اقامة الشخصيات وتحركها ولها أهمية في الرواية وضعها الكاتب للاشارة إلى ابعاد يكتشفها القارئ ويختارها الإنسان حسب ذوقه وشخصيته، ومن الأماكن المغلقة التي تناولتها رواية هجرة النار والتي يذكرها الراوي في بداية روايته والتي دلت على أن الأمكنة المغلقة هي أمكنة منعزلة، و

[1]–مهدي عبيدي: جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا (حكاية بحار، الدقل، المرا البعيد)، ص44.

[2]–غاستون باشلار: جماليات المكان ص162.

[3]–المرجع نفسه، ص37.

تأسر شخصية الانسان، وتدفعه إلى الخروج إلى العالم الخارجي بحثا عن التحرر والراحة ومن بين نماذج هذه الأمكنة نذكر:

1- المكتب:

وهو عبارة عن مكان مغلق أو غرفة ضيقة يستعملها الطبيب في معالجة المرضى فقد يستهل الراوي في بداية الرواية، عن مكتب الطبيب الذي اعتبرته "هند غضبان" كالسجن في قولها " هلعت للصوت ورحت اظغط يدي على صدري مرعوبة "[1] فأعتبرت هذا المكان يصدر رعبا، وخوفا في صدرها وقد تمنت الفرار من هذا العالم المظلم إلى عالم آخر في قوله " إلتفت ناحية الباب محاولة الفرار من هذا الموقف لكن شفتيه لم تتحملا كثيرا وانفرجنا على وابل من السهام المسمومة "[2] قولها صفعت الباب محاولة منع صوته الراعد من مشاحنته وجيب قلبي، نزلت سلم عبادة الازهر مسرعة ناحية الشارع" [3].

فهذا يدل على انغلاق وانعزال الشخصية داخل عالم مظلم مغلق تحده حدود ضيقة لا يستطيع التفاعل مع العالم الخارجي فيبث في نفسه الخوف والرعب فاعتبرت نفسها معزولة ومكبوتة داخل مكتب الطبيب العجوز الذي لم يترك لها ذكرى طيبة لتريح قلبها من المرض، ولم يقدم لها العلاج المناسب لمرضها في قولها " تبدو الخطوط المدونة نفسها الروشتات السابقة عشرات الأقراص..... فما الفائدة في اضافة كمية اخرى من هذه الاقراص "[4] فيبدو أن غاية الطبيب هي بعث الخوف، والقلق في نفسية هند لتكون فداء لأصحاب السحر والشعوذة وقد اوكل مهمة له هي البحث عن اليد الزهرية فكانت الضحية هي "هند غضبان" التي أصيبت بالصرع من خلال الحقن التي تأخذها، في قول الطبيب احقنها بمحلول كيمياوي

[1]- محمد بن زخروفة: هجرة النار، ص 11.

[2]- المصدر نفسه ص 11.

[3]- المصدر نفسه ص 11.

[4]- المصدر نفسه ص 11.

مخفف كل نصف شهر إلى غاية أن يشيع بين اهلها أن البنت هند مصابة بالصرع " حيث أصبحت لهذه الشخصية صدمة نفسية كالعجز والخوف والتوتر والأوهام [1]، بسبب المحلول الكيماوي الذي تأخذه فالمكتب ترك دلالة نفسية في حياة الشخصية من الأوهام والصدمات.

فالمكتب في الرواية يحمل كثيرا من الذكريات البيئية الشخصية هند كما يحمل أمال، وأطماع الطبيب فوزي في أخذ ما يستحقه من العناء في البحث عن اليد الزهرية في قوله " متى ستقدمون لي السبيكة الثانية "[2] وفي قوله أيضا حقنة واحدة تكلف ثمن السبيكة أي أن مكافئتي تحسب عن قيمة السبيكة الثانية فقط، ثم لا تستهن بالمجهود الذي بذلته في إيجاد مبتغاكم، أكثر من سنة وأنا اتفقد ايادي المرضى وأخذ صور ومطابقتها على ما طلبتموه "[3] فهذا دليل على أن الطبيب له غاية واحدة هي الحصول على المال والذهب "3 من اجل الجهد الذي بذله. والطمع الذي أعمى قلبه.

2- البيت:

هو عالم الإنسان الاول، وهو وحده الذي يعطي للوجود قيمة ويوحي عند أكثر الناس بالدفئ والاستقرار والأمان والبساطة،[4] على عكس الخارج فإنه يدل على الطابع العدواني، أو هو كما متعارف عليه المسكن والمأوى الذي يأوي اليه جميع المخلوقات طلبا للراحة والاستقرار، وهو أهم العوامل التي تدمج افكار وذكريات وأحلام الإنسانية فبدون بيت يصبح الإنسان كائنا مفتتا فالبيت هو المكان الملائم الذي يشكل فيه الألفة ويوفر للطمأنينة والسكينة والحماية، فالبيت هو الإمتداد للإنسان الذي يعيش فيه طفولته وأحلامه ومآسيه وكل ما عاشه وما يعيشه في الوقت الراهن فهو بوصفه مكانا مغلقا يحمل دلالة مزدوجة سلبية وايجابية، فانغلاقه في

[1]- محمد بن زخروفة: هجرة النار، ص 83.

[2]- المصدر نفسه ص 84.

[3]- المصدر نفسه ص 84.

[4]- غاستون باشلار : جماليات المكان، ص38.

الغالب يعني مزيدا من الأمان والطمأنية والحرية، ويحمل صفة الالفة وانبعاث الدفء العاطفي على الرغم من ذلك فإنه ينقلب إلى نقيض من ذلك فيصبح مكانا للتوجس والخوف ومصدر الشقاء وسجنا للأحلام والطموحات.

ففي رواية هجرة النار نجد أن الراوي قد تطرق إلى وصف بيت الخوجة الذي كان عبارة عن بيت آمن وباعث على الألفة والطمأنينة من الوهلة الأولى فعند ذهاب الشيخ إدريس إلى بيت الخوجة لمعالجة ابنته ناسكة التي اصيبت بالصرع اندهش من جمال البيت في قوله " ولجت بعد دقائق فناء بيت الخوجة وما كنت أظن أن يتناسب بهذه النظارة والرحابة والخصوبة " [1] فهذا يدل على أن بيت الخوجة واسع كبير وجميل في قوله أيضا " شدني السطح الذي يتقولب في تشكيلات جبسية تبهر الأبصار، ينهمر على جنباتها ضوء ساطع يعكس نحو غلاف الجدران الخالصة في بياضها، ثم يملأ العيون دهشة وانبهارا"[2].

من خلال وصف الكاتب لبيت الخوجة تبين أن حالته الاجتماعية من أفضل أحوالها وعيشته في ترف ونعيم وقد كان من أسياد قرية تاس الصحراوية الذي يزخر بنعيم ثروتها، وعطاء واسع في قول الكاتب " كانت واحة الخوجة ترقد على مساحة تقارب مساحة تاس إذا جمعنا شتات ابنيتها وخيامها "[3].

فهذا يدل على أن بيت الخوجة واسع فيه كل الخيرات من ثمار وحيوان وعتاد فكان كل زائر يقصده يعطى له مجموعة من الاكياس التي تبين كرمه وجودته فعندما زاره أحد الرجال أهل البلدية لإبلاغه انه قد تم اختياره من بين الأسياد الذين يشاركون في مهرجان عرس الجمل، واحضاره نوقه في التنظيم امر خادمه بتجهيز أكياس محملة في قوله " جهز كيسا وأدجج خلاله

[1]– غاستون باشلار: جماليات المكان، ص48.

[2]– محمد بن زخروفة: هجرة النار، ص 48.

[3]– المصدر نفسه ص 29.

عراجين من الدقلة وعراجين أخرى من التين المجفف، وعبأ أربعة قناني، اثنان من اللبن واثنان من اللاقمي المبرد..... من غير أن ننسى رطلا من الزبدة وكيسا من اللحم المفروم " [1] وفي قوله أيضا قام الضيف من المجلس رافعا خلف ظهره الكيس شاكرا كرم الخوجة " [2] هذا الكرم كغطاء خارجي بالنسبة لبيت الخوجة، ولكن مظهره الداخلي الحقيقي لا يخلو من التوتر والمعانات والرعب والموت، وبعد أن أصبح مكان سري ومقر لجامعات التي تبعث فيه بالأرواح والأجساد، فهو بيت يجمع فيه رجال بوبكار والخوجة معا في قول الرواي " كما كان توقع بوبكار وصلت المجموعة بيت الخوجة..... وقد احتلت أجسادهم المنهكة من السفر الكراسي الوطيئة فيما كانت بعض الايدي تمتد إلى الطاولة المثقلة بأصحن الطعام وسلل الفواكه واباريق السوائل المنوعة " [3] وقوله أيضا " وقد وطئت اقدام رجال بوبكار منزل الخوجة " وبهذا يتحول البيت من مكان أمن إلى مكان خطير، وفضاء للرعب والخوف ومكان له نظرة سلبية في نفسية الشخصيات الروائية مثل القسوة والنفور وسجن يقيد حرية الفرد _ ويرتبط البيت عادة بما مضى من الزمن، ولا شك أن اكثر الذكريات إلتصاقا بالنفس واكثرها فعالية في بعث الفرح ومواجهة حسن الفناء الذي لازم الذات نتيجة احباطات الحاظر وهي ذكريات من الزمن الطفولة. كما تذكرها الشيخ ادريس في قوله " صمت مليا أعرج بعقلي إلى ماض أقدسه جانب من حياتي..... مكثت رفقة والدي بعد وفاة امي بشهر وانا على عتبة الثلاثين من عمري [4] " فهذه ذكرى مضت عليها سنين كثيرة فبيت الطفولة يبقى راسخا في الذهن مهما طال الزمن. فالقلب يميل إلى ذكريات وأحلام الطفولة في قوله " صمت على العودة إلى البيت الذي كبرت

[1]– محمد بن زخروفة: هجرة النار، ص 35.

[2]– المصدر نفسه ص 35.

[3]– المصدر نفسه ص 85.

[4]– المصدر نفسه ص 86.

بجدرانه العارية " [1] كانت فرحة ناسكة بيتها الجديد ترفع همتها [2]" فهذا البيت القديم أصبح ينبض بالحياة من جديد وفأل خيرهم هذا البيت فال خيرنا ابا الذي بطني " [3]

فالبيت القديم أصبح فيه ذكرى في نفسية الشخصية ولكن سرعان ما تحول هذا البيت إلى ضيق وانغلاق وألم، بعدما مرض الشيخ إدريس وأوشك على الموت واصبحت نفوسهم منعزلة في قولها " لم تكن الحياة بالبيت الجديد كما تمنت ناسكة ما نفع أن يتسع البيت وصدور أهله ضيقة "[4] وقد توالت الأيام وشفي الشيخ ادريس من مرضه وانطوت السكينة في هذا البيت ولكن بعدها ضرب بيت الشيخ عاصفة حزن شديدة وقلق وأسى على فقدان زوجته شيعت القلوب بحسرة عينيه في قول الراوي " لم يبصر بالبيت إلا ظلاما دامسا وأنه فقد رغبته بالأكل.... كما فقدت روحه حاسة تذوق الدنيا وما فيها ".[5]

فيبدو أن البيت أصبح سجنا له وتشكلت له حالات من الضياع والحزن داخل هذا السجن، وأنه مكان للتوجس والخوف ومصدر للشقاء والشعور بالضعف والإنهيار.

فالبيت في الغالب يمثل شخصية الانسان أي أنه يمثل ما يكون البيت تكون شخصية صاحبه، فهو بكل فروعه مبعث الراحة النفسية فيه يمارس الإنسان سلطته دون اي تدخل اي سلطة، وهذا ما يناسب فيه يحس براحته.

3- الغرفة:

هي الحيز في المكان أو المبني تستخدم لشتى الاغراض كما تتميز بمحدودية مساحتها وانغلاق جدرانها، وهي تشغل حيزاتها في حياة الإنسان للأنهار ركن من أركان البيت تمثل

[1]- محمد بن زخروفة: هجرة النار، ص 52.

[2]- المصدر نفسه ص 145.

[3]- المصدر نفسه ص 146.

[4]- المصدر نفسه ص 154.

[5]- المصدر نفسه ص 176.

مكان للراحة في أغلب الأحيان كما تعد من الأماكن المغلقة عن العالم الخارجي فهي رمز للراحة الطمأنينة وهي كغطاء للإنسان.

حيث يصف لنا الراوي حجرة بوبكار التي يجمع فيها كل الكتب القيمة من أجل البحث عن الذهب في قول الراوي " هكذا ضم كتبه داخل حجرة واسعة تتركز جدرانها العارية على بيت صاحبه" سليم في الواجهة الخلفية اين يقابل بابها الخشبي من الفقر[1] فكانت غرفة بوبكار بسيطة من مظهرها الخارجي ولكن جوفها الداخلي كان يحمل كتب قيمة وثمينة للمعلم ما نسا زعيم وامبراطور أسطورة الذهب فكان كل همه هو جمع الكتب ووضعها في غرفته التي تحمل المخطوطات عن الذهب، وخرائط الكنوز وكتب السحر وغيرها، فالغرفة تحمل أسرار صاحبها ولا يبوح بها للغير مهما حدث، ولا تسمح بتوغلها للعالم الخارجي، لم يكتفي الراوي بهذا القدر من الأحداث في الرواية، فقد ركزت الرواية على حدث آخر داخل هذه الغرفة وهي دخول بوسعيد إلى الغرفة واكتشافه لجثة مرمية على الأرض، واطلاعه على كتب رثة موجودة داخل حجرة واسعة، لا يعرف على ماذا تحتوي هذه الغرفة، وماذا يحدث داخل هذه الحجرة وهذا ما جاء في قول الراوي" حيث تبين له أن بابها مشرع، أصاخ سمعه يتفقد هداة فضاء الحجرة إلى حين أن اطمان من خلو المكان فقز سريعا ناحية الباب وعبر خطوته إلى داخل الحجرة اذهله المكان الذي ينام على فوضى عارمة من الكتب الرثة، ثم انتبه إلى رائحة عفنة تملأ فضاء الحجرة لكن بوسعيد لم يكشف إلا جانب صغيرا من الحجرة الواسعة التي [2] تحوي على ثلاثة شموع تضيئ القليل من هذه الحجرة فاراد أن يتفقد بقية الحجرة في قوله " النور الباهت المنطلق مم الشموع الثلاث لم يظهر إلا جانبا يسيرا من الحجرة الواسعة "[3] وعند تفقد الحجرة الواسعة تعثر في جسم الأرض وعند تفقد موضع قدمه دق بصره علي بصورة مرعبة ارتعدت فرائصه

[1]– محمد بن زخروفة: هجرة النار، ص 82.

[2]– المصدر نفسه ص 94.

[3]– المصدر نفسه ص 95.

لهذا المنظر الغريب وهي صورة بنت داخل كيس قماشي فحاول تخليص البنت، من مصير تجهله في قوله " كيف عليه أن يبعد هذا الجسد من الحجرة على غفلة من الرجال "[1]، ولكن محاولته باءت بالفشل فقد حاول حمل البنت واخراجها من الغرفة المظلمة ولكن جسما صلب صدم رأسه، و افقدعه وعيه "[2] ولكن تحولت هذه الغرفة من مكان النوم والراحة إلى مكان يحتفظ فيه الجثث أو القربان في قول الراوي " أمر بعض رجاله بالنزول ناحية السيارة وحمل القربان إلى حجرته "[3].

فبعد أن كانت الغرفة هي المكان الذي يمارس فيه الإنسان حياته ويحمي نفسه اصبحت في هذه الرواية مصحوبة بمشاهد اليأس والكآبة والحيرة والقتل.

إن وظيفة الغرفة لا تقتصر في كونها مكان الراحة والنوم والهدوء فحسب بل اصبحت تحمل الكثير من الذكريات والخيال وكذلك للتفكير بالابتعاد عن كل الظغوطات الخارجية، ومحاولة الفرار من هذا الواقع فقد وصف لنا الراوي الشيخ ادريس وهو يسرح بخياله في قوله "وطأت حجرتي، وألقيت بجسدي المرهق على فراشي، ورحت أفكر في هذا الشكل الغريب لاحداث الحياة من حولي "[4] فعند زيارته لبيت الخوجة لمعالجة ناسكة وصف لنا غرفتها التي اندهش وأحس بالضيق فيها في قوله " تخطيت عتبة الغرفة وأنا لا أدرى اين اتجه بخطاي أيمينا؟ أم يسارا؟ واتطلع من ضيق زاوية بينهما إلى ما حولي على يمين غرفة اخرى اهتز ستار ترعتها "[5] وفي قوله أيضا ثم هذه الغرفة الضيقة التي نسكنها اليوم ستضيق أكثر بأولادك

---

[1]- محمد بن زخروفة: هجرة النار، ص 95.

[2]- المصدر نفسه ص 95.

[3]- المصدر نفسه ص 92.

[4]- المصدر نفسه ص 25.

[5]- المصدر نفسه ص 50-51.

مستقبلا " [1] فقد ارادت ناسكة الرحيل من الغرف الضيقة والتفكير في مستقبل اولادها ليعيشو حياة مريحة تهيئ جو مناسبا لهم.

وهذا ما جعل الشيخ إدريس يقتنع بمشروعية الرحيل من مكان ضيق إلى مكان رحب، وواسع في قوله نقلت الاغراض على قلتها وكومت في طرف غرفة بينما اعتنت ناسكة بالغرف الثلاث المتبقية، تكنس الاتربة من أرضيا تهلو ترفع المنشة وتسحبها نحو نسيج العناكب "[2]

4- السقيفة:

تعتبر من الأماكن المغلقة التي لها حدود معينة فهي تعتبر بناء أو ملجأ صغير من طابق واحد يكون معزولا وحده في سقيفة البيت، فيها بعض الأعمدة ترتفع أرضيها قليل عما حولها وسقفها يكون مغطاة بالطين أو الخشب يلتقي فيها ابناء القرية لمدراسة أمورهم وتعابر السقيفة في الرواية كمحطة للإلتقاء الخوجة ورجاله واهل القرية في مجلسه في قول الراوي " أنهي كلامه مصوبا المنشة ناحية مجلس سيده بالسقيفة " [3] وفي قوله أيضا " رفع الشيخ محبوب يده مسلما على الجماعة التي يتوسطها الخوجة قام الاخير من مقعده الصوفي يمد كفه مرحبا وأمر خادمه بإحضار كرسي الشيخ "[4] فهذا دليل على أن السقيفة مكان اجتماع الخوجة و رجاله والتشاور في أمور الذهب وغيرها من المؤامرات والمخططات السرية.

المكان في الرواية عنصر مهم في تحرك الابطال وتصوير هذه الأماكن لها أثر في بناء شخصيات الرواية وتفاعلها في سيرورة هذه الأحداث، فقد وظف الراوي وصف السقيفة فهي في الواجهة العلوية لبيت الخوجة في قوله "صعد الرجلان ناحية السقيفة "[5] فالسقيفة في الطابق

---

[1]- محمد بن زخروفة: هجرة النار، ص 145.

[2]- المصدر نفسه ص145.

[3]- المصدر نفسه ص 29.

[4]- المصدر نفسه ص 30.

[5]- المصدر نفسه ص 34.

العلوي حسب وصف الراوي في قوله أيضا " وهما يصعدان الأدراج الاسمنتية يقصدان باب البهو الكبير " [1].

كما قدم لنا ما تحوتيه هذه السقيفة على كثير من الملذات ومحتواها ما يظهر ذلك جليا في قوله " حينما حاصره ظل السقيفة نزع نظارته واخذ يتجول بعينيه حول المكان، يدقق بصره في الشكاء المثبتة ناحية السقف، وينقله بين الزوايا حيث تتدلى عراجين من التمر المييبس، ثم يعرج إلى براميل بلاستيكية محكمة الاغلاق "[2] كما يوجد فيها كراسي لرجال الخوجة وكرسي خاص له في قوله " أرخي جسده الثخين على كرسي الخوجة ذي المسند الكتاني المبرقش والحواف المحبوكة من الجلد المدبوغ..... الكراسي المرصوفة التي تقابله "[3]

فقد كان وصفا بسيطا وسطحيا لهذه السقيفة. ولكنه أعطى اشارة إلى وجود عراجين التمر والبراميل والكراسي التي تدل على اجتماع الخوجة ورجاله في هذه السقيفة، كما دلت على خبايا النفس البشرية وعلى ذكريات قد مضت في هذه السقيفة في قوله عض بوبكار شفته متأملا زوايا السقيفة، وقد امتد على جوانبها عراجين التين المجفف ثم حول بصره إلى المرعى " [4] ،هنا تذكر بوبكار وسليم السر الكبير وراء اختفاء السيدة عابدة وقد وسعت خواطرهم في إدراك خبايا الامور التي وقعت أعلى السقيفة.

5- القبو:

هو طابق سفلي في المنزل أو هو بناء تحت الأرض يخزن فيه الاشياء القديمة وغيرها فهو من الأماكن المغلقة التي يلجأ اليها الإنسان عادة ففي الرواية يعتبر القبو كمحطة أساسية في تنقل الألواح التي تركها والد الشيخ ادريس له كوصية مخزنة، في قبو المنزل وقد اشار

[1]- محمد بن زخروفة: هجرة النار، ص 32.

[2]- المصدر نفسه ص 34.

[3]- المصدر نفسه ص 34.

[4]- المصدر نفسه ص 80.

الراوي في قوله " المكان موخوم والرطوبة خانقة هنا البرد محسوس والهواء ينتقل بعد كل خطوة، وحتى نور الشمعة يغلبه دمس الظلام "[1] فمن كثرة الظلام أصبح معزولا عن العالم الخارجي حتى استشعر برهبة المكان. فكلما تقدم إلى عمق القبو شعر بالعزلة والخوف، والظلام كما جاء قول غاستون باشلار " القبو هو الهوية المظلمة للبيت "[2].

كما نجد الراوي نقل الشخصية الروائية في كل زاويا القبو مشيرا اليه ووصفه وصفا دقيقا في قوله " هناك ثلاثة شماعد نحاسية مثبتة بالاعمدة امامي، كل شمعدان له إصبع واحد تركتز فيه قطعة من شمع..... القبو يبدو واسعا والأرضية ترابية باردة الجدران عارية تظهرها تفاصيل الحجارة المتراكمة كذلك السقف.... يبدو المكان فارغا لا هناك رف خشبي مسند بالحائط على يميني تشغله كتب متفاوتة الحجم. رثة الأغلفة والأوراق..... هنا خلفي مباشرة مقعد طاولة خشبين مكفو اي اللون. على الطاولة دواة أظنها من فخار، ووجها الخارجي منحوت ولها فتحة دائرية مشقوقة ومشوهة..... لحظة هناك صندوقان خشبيان كبيران على طرفي الطاولة، بل صندوق ثالث محشورين سيقان الطاولة ثلاثة صناديق بنية اللون ومتماثلة الحجم، سميكة التركيب وتحمل زغارف دائرية بارزة..... تقريبا كل الجمل في البداية تنتهي بعلامات استفهام يبدو انها مجموعة من الاسئلة [3].

فقد وصف لنا الراوي مجموعة من الأشياء الموجودة داخل القبو فكل شيئ وجده كان غامضا لا يعرف بدايته من نهايته، فقد استغرب من وجود هذه الاشياء ووجد رموز غريبة لم يفهمها وهي وصية الألواح السبعة التي تركها والده فهي محطات تنتقل من جيل إلى آخر وهذا ما ذكره الراوي في قوله " هل انت أهل للوصية؟ هل انت أهل لحفظ سر ما تجده وتقرأ؟ أن كنت اهل للوصية فانت بالضرورة تقف الأن منفردا ومسالما ومتحمسا ومشغولا بما جاء

[1]– محمد بن زخروفة: هجرة النار، ص 147.

[2]–غاستون باشلار: جماليات المكان، ص46.

[3]– محمد بن زخروفة: مصدر سابق، ص147–148.

بالألواح، متعهدا بحفظها وحفظ أسرارها..... الصندوق الثاني لوح متغير العدد "[1] فقد قام الشيخ إدريس بتلبية الوصية التي تركت له فمن كثرة الإنشغال بمراجعة الواح الصناديق، لم يعد يهتم بعائلته فكان يقضي معظم وقته داخل القبو يكشف أسرار وخبايا هذه الألواح، و نجد ناسكة تلومه على هذا الفعل في قولها " من الفجر إلى الظهر ومن الظهر إلى العصر وجسدك محشور بالقبو إلا تمل ؟"[2] فهنا دليل على أن الشخصية الروائية منعزلة ومغلقة على العالم الخارجي فهي مكبوتة داخل الغرفة المظلمة لا يشاركها احد فالعالم السفلي هو الذي يشارك حياته، ويخرج من هذا المكان ملفوفا بالغموض وقد وصف لنا الراوي حدث اخر في الرواية وهو ترك الشيخ ادريس للقبو والابتعاد عنه لأن الالواح غيرت من حياته. فقرر التخلي عن العهد الذي قطعه في قوله " فحمله كبرياء ينغز روحه إلى الوقوف متحديا الألواح ومخالفة تعهده القديم لاحت له في جوف القبو، خاضت النور تشكلات لتلك الشخصيات التي تسكن الالواح التي رسمها ذهنه..... دفع باب القبو بشدة وحرك الذراع إلى طرفه الاخير " [3] ولكن هذا التخلي عن العهد الذي الزمه الفراش أعوام كثيرة فألحت عليه زوجته العودة إلى القبو في قوله " ألحت عليه بشدة أن يتابع عزلته في القبو "[4] ليستعيد عافيته وصحته ولكن بدون جدوى.

فالشخصية الروائية لم تتحمل العزلة والانغلاق، وربطها في زوايا مظلمة وإنما تتصل بالاحلام والتخيلات والذكريات عبر ممرات ومحطات مختلفة فالشخصية طوحت بعيدا في الخيالات واستعادت ذكرى من داخل القبو وهي زيارة الشيخ متيجي لابنه الشيخ ادريس ليذكره بوصيته، وانه اهان عهده للأرواح التي تسكن الالواح، وقد امضى في خياله يتابع حياة الالواح السبع التي اتضح أن الألواح هي حلقة عبور فقط لاكتشاف الذهب والمعادن الباطنية الموجودة

[1]- محمد بن زخروفة: هجرة النار، ص 148-149.

[2]- المصدر نفسه ص 150.

[3]- المصدر نفسه ص 152.

[4]- المصدر نفسه ص 154.

في الصحراء والجبل الأسود في قوله " نتابع حياة الألواح السبع الأولى في عيني الشيخ إدريس وقد اتضح أن الأحداث خلالما وتزييفا مفتعلا "[1] فقد تابع أحداث حياة الألواح السبع من الأولى حتى السابعة، فالأولى بدأت بأحداث مع ابن يصهر وموسى ابن ظفر وفي السادسة نوفل الجعلي والملك الحاجي كانجاما ناموسي صاحب الخطوة الثاني بجبل الذهب واختتم الحديث عن اللوح السابع مع ناصف ابن ساري الذي اعتبرهم كحلقات عبور فقط لاكتشاف اماكن الذهب وخرائط الكنوز وتعاليم السحر كما ورد في قوله " بعد أن عاد الشيخ إلى القبور وجد والده كالعادة يطلب منه كيس الألواح ليسلمه آخر، كما تذكر الشيخ أن حياة الألواح السابعة لم تنقطع كثيرا عن حياة الالواح السادسة الا زمنا يسيرا" [2] ولكن بعد أيام عاد إلى القبو فوجد كيبسا واحد تعود فيه الالواح إلى حياة والده، فطالعها بفضول ومتعة لم يجدها في الألواح السابقة، غير أنها أسهبت في الحديث عن شجرة الجيمز بإعتبار زوالها علامة لإنكشاف جبل الذهب، ولكنه لم يعرف كيف وصلت هذه الالواح إلى القبو في قوله " لم تظهر الالواح كيف وصل الصندوقان إلى القبو "[3] وبعدها اغلق باب القبو وترك السر لأبن بار يخلفه بعد موته مثلما فعل جده في قوله " السر بين الالواح التي خلفها جدك لوالدك بقبو اسفل البيت "[4].

6- الكوخ:

هو مكان بسيط مغلق ولكنه يمثل الملجأ والحماية، هو مكان يحاصر فيه الإنسان المه وعذابه والهروب احيانا من اهواء النفس ونجد في الرواية وصف لكوخ بوبكار الذي يلجأ اليه لقراءة بعض الكتب والبحث عن سبيل جديدة في اكتشاف جبل الذهب في قول الراوي " ختم بوبكار كلامه وقد اذى لرجاله بالانصراف، في حين اتجه إلى كوخه الصغير المسنم من

---

[1]- محمد بن زخروفة: هجرة النار، ص 162-163.

[2]- المصدر نفسه ص 168.

[3]- المصدر نفسه ص 175.

[4]- المصدر نفسه ص 211.

القصب المتين والمسقف بسعف النخيل، اخذ يرفع حواف الكتاب مخزرا عينيه في عيونها إلى أن استقر بصره على الكتاب سارعت أنامله إلى سحبه تفقد غلافه، وهو يقربه إلى الشمعة المضاءة في الزاوية "[1] رغم بساطة كوخه لكنه فيه كنز عظيم من الكتب القيمة التي تحتوي على طرق للوصول إلى اكتشاف هذا الجبل.

وفي قوله أيضا " أطبق بوبكار دفتر الكتاب، ثم أدناه إلى فيه لاثما قبل أن يعيده إلى مكانه ويخرج من كوخه متفقدا نوم الرجال "[2].

فالكوخ يعتبر ملجأ للحماية من هيجان الطبيعة والاحتماء من حر الشمس الحارقة في الصحراء، لأنه يبعث في النفس الآمان والطمأنينة.

7- الخيمة:

تعتبر رمز من رموز التراث الذي ميز البدو والرحل وسكان الصحراء حيث كانت بينهم الثابت المتنقل حسب الحاجة والظروف التي يحددها المرعى والمشرب والامن، كما تمثل الخيمة تجسيدا للعلاقات الإجتماعية والروابط الأسرية ونجد الخيمة ترفع بواسطة عمودين، ويشد هذين العمودين بعضها بحبل الراوي " انتهى العمال رفقة الخادم جعفر من ارساء الأوتاد ورفع الخيمة وسط الزرابي ورس الكراسي حول الطاولة "[3] فقد زينت الخيمة كما أرادها الخوجة كما تعابر الخيمة رمز القساوة العيش والعزلة وسط الصحراء وهذا ما حدث للمجنون عباس الذي له خيمة وسط خربة في قوله " وقف الشيخ على مسافة من خربة تظم خيمة ضيقة تحيطها الأقذار والسعف، ويميل بها سنادها إلى جانب قسي، رجلس مفر فصا تحت فيئ نخيل

[1]- محمد بن زخروفة: هجرة النار، ص 68.

[2]- المصدر نفسه ص 69.

[3]- المصدر نفسه ص 39-40.

مستترا عن الخيمة وعينه تحلق بالأرجاء "[1] فكانت خيمة المجنون عباس خيمة صغيرة تدل على حالته المعيشية القاسية.

فلا تحتوي هذه الخيمة سوى الأقذار داخلها في قوله "في ساعة تلفع المكان بظلمة خفيفة، تراءى الشيخ شبح يرفل في عباءة فضفاضة، يزن خطواته وينزل هدوء ناحية الخيمة وهو يلوى رأسه يمينا وشمالا أحنى راسه يفتش داخل الخيمة ثم انحرف عنها يركل ما صادف أمامه من الأقذار مبديا سخطه "[2].

كما نجد الشيخ إدريس يتذكر ما جرى في خيمة عباس الذي قتل رجل امامه عينيه وأصبح هذا المشهد مقيد داخله في قوله " سلك طريق متواريا عن أعين الرجال واخذ نفس موضعه مم الحادثة السابقة خلف النخلة ظل متحجبا سيتذكر المشهد السابق إلى ساعة أن حل رجل بالمكان وشرع في تفقد الخيمة، يسد انفه بيد ويقلب بيد اغراضا وجدها داخلها، ثم رمى ما بيده وسار يبزق خلفه متقززا"[3] فهذه حالة خيمة المجنون عباس فوضى عارمة في كل مكان وتبقى كلغز في ذاكرة الشيخ ادريس الذي لم يكشف السر الخفي وراء مقتل هذا الرجل.

و قد وصف لنا الراوي خيمة داوود الذي كان متوجه إلى قرية تاس ليستقر فيها وتكون له حياة جديدة رغم الصعاب التي تعرقل طريقهم، وهو ما أشار في قوله " انحدرت القافلة من عل ونصبت ثلاث خيم خيمتان جهزا الرجال متجاوزتان تلفتان ناحية الغروب وخيمة تتاتى عنهما وتظاهرهما جهزت لداوود واهله، بسطت الافرشة داخل الخيم ووسعت دوائر الجذوات قرب كل ترعة "[4]، وفي وصف اخر لزوجته التي كانت تحمل رضيعها تحت أشعة الشمس الحارقة، والتي لم تكن ترغب بالرحيل من القرية في قوله " أيعقل أن تسيير مرضعة على أرض تفور

[1]- محمد بن زخروفة: هجرة النار، ص129-130.

[2]- المصدر نفسه ص 130.

[3]- المصدر نفسه ص 135.

[4]- المصدر نفسه ص 187.

بالحر ومن فوقها تمتد اليها لسعات شمس حارقة و" أيضا " حملت آمنة رضيعها وسارت إلى الخيمة "[1]، فالصحراء تحتوي على المخاطر والخوف في الليل الدامس من كثرة الحشرات ولسعاتها، وصعوبة تحمل العطش فمن كثرة العطش يشرف الإنسان على الهلاك وهذا ما جرى لرجل وجده فريد في الخلاء مرميا في قوله " ظلت الاجساد مشدوهة بينهما ملامحة تتشكل كلما ضاقت المسافة بينهم إلى حين أن اغلق الباب الدمس من خلفهم وارتسمت صورة هيكل فريد وهو يتأبط ذراع رجل ضخم الجثة مرتخي العضلات..... ثم سار داخل الخيمة "[2]، فكانت هذه الخيمة كحلقة وصل بين المجنون عباس وداوود الذي يريد أن يصل إلى تحقيق وصية والده.

وقد وصف لنا أيضا داوود وهو يتألم ويتخبط ملسوعا في قوله " فجر اليوم الموالي صاح داوود ملسوعا يتقلب على جنبيه ويتخبط متألما قامت آمنة مرعوبة من صياحه، أو قدت شمعة وانارت الدائرة من حوله"[3] ومن كثر صياحه وانينه جاء رجاله وأخرجوه من خيمته وأخذوه إلى الجهة الثانية من الخيمة اين يوجد الرجل الذي اسعفوه ليلا ولكن رجاله غلبت عليهم الحسرة والاستغراب في ايجاد الحل في قوله " اخذ جسد داوود ينضج ويعتصر ألما وكلما مرت دقيقة يرتفع انينه ثم لم تنفع محاولات زوجته وهي تدعك ركبته ناحية الجرح في تخليصه من ألمه، تتطلع اليه بقلب مكسور ضعيف الحيلة ساعتها سمعت نداء من خارج الخيمة، قامت سريعا تجنب النداء، وكان عصام أصغر الرجال زوجها يتردد قلقا يعد أن طرق صوت سيده المتألم وذنه، حملت اليه وضع داوود ثم توشحت بخمارها وركنت إلى زاوية الخيمة دخل الرجال وأحاطو بجسده ثم حملوه وخارجا بينما كل واحد يتطلع وجه صاحبه مستغربا "[4] ولكن الرجل

[1]– محمد بن زخروفة: هجرة النار، ص 187.

[2]– المصدر نفسه ص 189.

[3] – المصدر نفسه ص 190.

[4]– المصدر نفسه ص 190.

المجهول هو الذي ساعده في الشفاء في قوله " سحب ساق داوود إلى فمه، احاط الجرح بشفتيه واخذ يسحب ثم يبصق على جانبه دما، كرر ذلك ثلاثا بعدها رفع ساقه إلى جبهته وطفق يحرك شفتيه ويهجس بكلام غريب، ثم صمت وألصق الساق بجبهته إلى أن شهق داوود عليها وفتح عينيه يلوي رأسه من حوله مستغربا "[1].

فهذه الأحداث جرت داخل هذه الخيمة التي كانت لها دلالة في ربط الأحداث واجتماع الشخصيات فيها فكل شخصية تتذكر ماضي عبر بوابة الحاضر، وعبر حركة الشخصيات التي تتحرك من مكان مغلق وهي الخيمة إلى مكان مفتوح وهي القرية.

8- المسجد:

يوظف المسجد في النصوص السردية على أنه بنية ذات أثر ايجابي في توجيه السلوك وتهذيبه"[2]، والمسجد للعبادة والصلاة وملاذ كل شخص يطلب الراحة والسكينة والعلم ففي الرواية جاء المسجد على أنه مكان للعبادة والتشاور في امور اخرى تخص امور القرية في قوله " فليتبعني إلى المسجد من شهد الحادثة "[3] فكل من شهد هذه الحادثة ذهب إلى المسجد ليدلى بشهادته في حضور الشيخ ادريس فهذا يبرز أن المسجد مكان للاجتماع من أجل مواجهة ظروف الحياة الصعبة، ولهذا يلجأون إليه كما انتشر في الرواية إلى المسجد الوحيد الذي يوجد في القرية اين يجتمع الناس للصلاة في قوله " باغتهم صوت هائج عن الباب الخلفي للمسجد ساعتها كان الشيخ يوشك ختم الوقفة الثانية من صلاة الفجر "[4].

كما اعتبره الرواي مكان للأخبار المهمة في قوله " العالم ربنا يا شيخ _ أن رجلي هما من حملتا جسدي إلى المسجد دون أمر مني والعالم ربنا يا –شيخ– لساني زعق من غير أن اطلب

[1]– محمد بن زخروفة: هجرة النار، ص 191.

[2]– محمد إبراهيم: تجليات المكان في السرد الحكائي، فضاءات للنشر والتوزيع، عمان الاردن، ط1، 2009، ص121.

[3]– محمد بن زخروفة: مصدر سابق، ص14.

[4]– المصدر نفسه ص 17.

منه "[1] فكان الحاج عمير كلما سمع خبر من القرية أو جرت حادثة فيها يذهب إلى المسجد ليخبر الشيخ ادريس بكل التفاصيل الحادثة في قوله أيضا " انتحى الشيخ بالحاج عمير بالمسجد، وكان هكذا انهجه خلال الأيام التي اعتقبت ابحادثة يدعوه إلى خلوته في اوقات متأخرة من الليل ثم يسأله عما تروج اليه الالسن في الاسواق "[2] ، ويعتبر المسجد مأوى وملاذ امن للشيخ ادريس من العوامل الخارجية التي تحدث داخل القرية في قوله " بعد عصر يوم الجمعة، صعد الشيخ ادريس نحو سقف المسجد يستجدي هواء عليلا "[3].

كما يعتبر ملاذه وذكراه بعد زواجه في قول الراوي " في ليلة مقمرة جلس الشيخ ادريس إلى المتكأ الذي اتخذه عقب زواجه بصفة المسجد "[4].

وفي وصف للمسجد الذي اعتبره الشيخ ادريس كبيت لأسراره الخفية حين شاهد تلك الحادثة أو الجريمة لم يستطع الخروج من المسجد، وهو شارد يبحث عن أجوبة عن تلك الفضاعة التي شاهدها في قوله " خلال تلك الأيام كانت تضيق خلوات الشيخ بين المسجد وحجرته في حذر دون مكان اخر حتى حاجاته التي اعتاد اقتنائها من السوق جعل لها وكيلا إما المؤذن او بعض الصبية بعد الدرس فمن خوفه وقلقه على حياته لم يخرج من المسجد واتخذ لنفسه مواقف صارمة وهو الكتمان عن هذه الحادثة داخل صدره، حتى يكتشف أمر الجثة وهو ما أشار إليه في قوله "الكتمان أصبح رحمة لكن خارج صدري ماذا فعل بجثة ذلك الرجل الغريب قرابه الشهر ولم ينطق رجل في المسجد بسيرته لا أحد صراخ مذهولا انه اكتشف جثه رجل بانحاء تاس"[5] وقد وصف لنا الراوي أن المسجد له غرفه واحده ضيقه لا تتسع لاكثر من

[1]– محمد بن زخروفة، هجرة النار، ص 19.

[2]– المصدر نفسه ص 23.

[3]– المصدر نفسه ص109.

[4]– المصدر نفسه ص 141.

[5]– المصدر نفسه ص 131.

شخصين فبعد زواج الشيخ ادريس قررت زوجته الرحيل من المسجد الى سكن باولادهم في قوله أن يكون لك بيت رحبا واسع يليق بهم وباولادهم في قوله "أيعقل أن يكون لك بيت رحب من غير أن يستغل بيت يبعد عن المسجد"[1] مقدار ربع ساعه ثم وهذه الغرفه الضيقه التي نسكنها اليوم ستضيق أكثر بأولادك مستقبلا مما قد يحرجك أمام الوافدين إلى المسجد كما يعتبر المسجد كمدرسه قرانيه لتعليم ابناء القريه في قوله "عاد الشيخ الى مسجده وتلامذته معافى طيبا نفس"[2] فالمسجد هو المكان تستكين فيه النفس البشريه وتلجأ إلى هذا المكان للراحه والطمأنينة وهو مكان مقدس فبعد وفاة الشيخ ادريس اصيب ابنه معتز هو الذي يدير شؤون المسجد في قوله "بعد ساعة اعاد معتز من المسجد بعد صلاة المغرب"[3] في المسجد يحمل دلالة دينيه تربوية كما يحمل نفسيه الشخصيه الخوف والقلق.

[1]– محمد بن زخروفة، هجرة النار، ص 145.

[2]– المصدر نفسه ص 175.

[3]– المصدر نفسه ص211.

المبحث الثالث: حركيا المكان في الرواية

في الرواية يظهر المكان مجرد خلفية تتحرك أمامها الشخصيات وتقع فيها الحوادث، وقد يظهر المكان معبرا عن نفسية الشخصيات ومنسجما مع رؤيتها للكون والحياة وحاملا لبعض الافكار، فيبدو أن المكان كما لو كان خزانا للكون والحياة وحاملا بعض الأفكار، فيبدو أن المكان كما لو كان خزانا حقيقا للافكار والمشاعر، حيث تنشأ بين الإنسان والمكان علاقة متبادلة يؤثر فيها كل طرف على الآخر، كما يسهم المكان في بناية الرواية وعندما تخترقه الشخصيات فيتسع ليشمل العلاقات بين الامكنة والشخصيات والحوادث.

في رواية هجرة النار تحتاج إلى مكان تقع فيه الأحداث وهذا لكي تنمو وتتطور وتنوع الامكنة بغية فتح عالم الرواية على الحركية والفاعلة في مجريات الحدث، والتفاعل مع العالم الخارجي، فالشخصية الروائية هي تخترق المكان، وتحي العلاقات المكانية وتجعلها نابضة بالحركة والفعل.

نجد الروائي أعطى الشخصيات حرية الحركة والتنقل من مكان لآخر فنجده في بداية الرواية انتقلت الشخصية من مكان مغلق وهو المكتب إلى مكان مفتوح، هروبا من العالم الضيق، فتتحرك إلى عالم آخر فقد استطاعت الشخصية من مكان مغلق وهو المكتب إلى مكان مفتوح، هروبا من العالم الضيق، فتتحرك إلى عالم اخر فقد استطاعت الشخصية التنقل بحرية، وهشا ما يجعل الاحداث متسلسلة في وتيرة واحدة، لأن المكان مهمته الاساسية هي التنظيم الدرامي للاحداث.

فالشخصيات في الرواية تتحرك وفقا لاحداث، لأن كل مكان مغلق يخفي أسرارا وأحداث غير موقعه سابقا لذا ساعدنا الامكنة في فهم الشخصيات وتبعا لذلك يصير المكان بمثابة بناء يتم انشاؤه وفق المميزات التي تطبع الشخصيات كما نجد في الرواية تنتقل حارس العربات من السوق وهو مكان عام إلى مكان مفتوح لأن الشخصية متعودة على الحركة في الأماكن

المفتوحة كما نجد أن الشخصية تترك وتبتعد عن الأماكن المفتوحة التي لا تخلو من الناس إلى مكان هادئ ومغلق، لتشريح أو تتذكر ماضيها كما تجد في الرواية هروب الشيخ إدريس إلى المسجد لفضاء يوم متعب داخل غرفة.

فالشخصية تنتقل من مكان لآخر وتتفاعل معه، لأن حركة الشخصيات في المكان الواحد تجعلها في ضيق وانغلاق على العالم الخارجي. لهذا عندما تتغير الاحداث وتتطور يفترض تعددية الامكنة واتساعها، فالروائي لا يستطيع وصف عدة احداث في مكان واحد. فالشخصية دائما تسعى إلى الحركة والتنقل من مكان لاخر، فنجد في الرواية الشخصية قد تنتقل أكثر من مرة لانها تصنع احداثا وتبني متن الرواية فالامكنة في الرواية لا تتشكل تحدد مسبقا، وانما تتشكل باختراق الابطال لها من خلال الاحداث الذين يقومون بها، من المميزات التي تخصهم، وهو بدوره يترك اثرا فيها ويدفعها إلى الحركة حتى انه يمكن القول بان وصف البيئة هو ووصف الشخصية.[1]

في الرواية نجد الرواية تحرك الشخصيات وفقا لغايتهم في البحث عن الذهب في قول الراوي " تابع بوبكار خلال السنوات التي ارغم فيها على هجرة واخته تنقيبه عن باقي مخطوطات المعلم مانسا المفقودة، وكان قد صرف قسمته من الذهب اثناء جولاته "[2]، فالشخصية تنتقل من مكان إلى اخر وفقا لمجريات الاحداث داخل المتن الروائي، لهذا نجد الروائي اختار منطقة الصحراء لتكون عالم مفتوح امام الشخصيات وتعد مكانا محوريات في الرواية، اذن فالمكان لا يتحقق الا من خلال حركة الشخصيات فيه وتفاعله معه، كما لا يتحقق الا من خلال تعدد الأمكنة.

[1]– حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، ص29–30.

[2]– محمد بن زخروفة: هجرة النار، ص82.

نجد في الرواية تنقل الشخصية من مكان لآخر للكشف عن حقائق الأحداث التي تجري داخل الرواية أو تعبر عن نفسيتها التي تكون مرتبطة بالحركة والتنقل كما جاء في قوله "فليتبعني إلى المسجد من شهد الحادثة"[1] وفي قوله أيضا "ثم ما لبث أن تهلل وجهه فرحا وهو يبصرقدوم الشيخ وخلفه الرجال الثلاثة مد يده مبتسما وهو يرمق أعين الرجال في خجل بعدما احس أن تثاقله قد نبأهم بخوفه من الصعود ناحية المقبرة ثم في حركة أراد بها طرد هاجس الخوف رفع إصبعه صوب المقبرة وشد معصم الشيخ يسحبه"[2] فهذا الخوف والذعر حقيقه احس بها الشيخ لحظة دخوله المقبرة التي تبعث فيه بالخوف والحذر فينتقل من هذا المكان المظلم الى مكان اخر يبعث فيه بالراحه والطمانينه كما نجده ربط مصير الشخصية بصحراء في قوله "الصحراء لا تضمن رجوع السائل من نفس طريق ذهابه الصحراء يحفر رملها من يمجد ماضيها ويهاب مستقبله خلالها عيون الإبل تتبع أثر الجن والجن من التوه والتوه يسكن الصحراء"[3] الصحراء لا تعيد نفس الطريق الذي تتحرك من خلاله الشخصيات وانما تسلك تاريخا اخر فهو يدل على انها تنتقل من مكان لاخر وتخلق في نفسيه هذه الشخصيات اما القلق او الامل عن البحث في مصيرها في قوله "بدا الفجر يذيب جبه الليل سريعا والخطوات لم تهدا منذ الغسق والقلب ينتفض في صدر الخوجة والقلب يتسلق اعصابه يسير الى الطريق يمشي خلالها خطوات الى أن يستشعر بدنه بوحشه المكان فيقف متوجسا ثم يميل عن يمينه عائدا يرفع عينيه ناحيه خادمه جعفر الذي انتت صخره من الجبل الأسود يفتش عبر الطريق عن القافله يرموقه مليا ثم يدير عنه ظهره منكسرا"[4] فهذا يدل على أن نفسه الشخصيه قد تكون هادئه وأحيانا مضطربه مما يجعلها في حركه دائمه لا تستطيع الثبات في مكان واحد كما اشار لنا الروائي أن كل شخصيه تتحرك من اجل غايتها في قوله "جيد الليله الليله يا سليم ساعبر

[1]- محمد بن زخروفة: هجرة النار، ص 14.

[2]- المصدر نفسه ص 19-20.

[3]- المصدر نفسه ص 37.

[4]- المصدر نفسه ص 40.

ناحيه العرق وقد تكون زياره تقوليه الأخيره قبل أن يتم عمليتنا في كل زياره يصرح لي أن الهواء صار اثقل من قبل والانفاس تتردد حاره في صدري ما ينام عن ضيقا واختناق وكان الأرض تحبل بثقل ما"[1] وقد تكون الشخصيه مجبره على التحرك لمتابعه مسار الاحداث في الروايه في قوله "لا يا خيي ملزم انا بنزول هاجس ما يرن داخلي يلح علي بالعبور الى العرق"[2] كما نجد الروائي ينتقل من المكان المفتوح الى مكان ضيق ليربط الاحداث في حياه الشخصيه والتي بدورها تتفاعل مع الحدث في قوله "يبدو انك غير متعود على هكذا سفر سيادتك الدكتور"[3] الدكتور متعود على حياه الراحة والانفتاح في العاصمة وعند انتقاله الى تاج شعر بالضيق والانغلاق ولهذا نجد أن الشخصية لم تكن متعودة على الحركة احيانا تكون مجبرات على التنقل من مكان لاخر كما نجد التنقل الشخصية من مكان مغلق الى مفتوح للبحث عن الهدوء والراحة النفسية كما جاء في قوله "صعد الشيخ ادريس نحو سقف المسجد يستجدي هواء عليلا بعد أن ضاق صدره من تكون الصهد بين جدران حجراته"[4] كما بين لنا حاله تنقل الحاج عمير من المسجد الى بيت الخوجة في قوله "اسرع الحاج عامر الى بيت الخوجة وقد حمل جبينه اول شعاع للشمس يشرق على تاس ضرب الباب ثلاثا وابتعد خطوات عنه يدير نظرة ناحيه شرفة البيت"[5] هذا الانتقال كان هدفه فتح محطات كثيرة امام الشخصيات انسجام الاحداث داخل الروايه الزواج ناسكه بشيخ ادريس فتح تحركات في الروايه من خلال تنقلهم من مكان لاخر فنجد الروائي وصف لنا حاله الشيخ ادريس الذي يتصارع مع نفسه ليذهب ناحيه القبو الذي اعتبر محطه عبور لاهم الشخصيات التي تبحث عن جبل الذهبي في قوله فرغبته في الامر ودفعت خطواته ناحية القبو دفع لينا ينزل خطوة بسلالم فيستشعر بعد أيام من حياة هادئة

[1]– محمد بن زخروفة: هجرة النار، ص 61.

[2]– المصدر نفسه ص 76.

[3]– المصدر نفسه ص 90.

[4]– المصدر نفسه ص 109.

[5]– المصدر نفسه ص 138.

وصافية فكان القبو مكان مغلق انتقلت عبره الشخصيات وكان له اثر كبير في نفسية الشيخ الذي اعتبره مكان منغلق على العالم الخارجي ويحوي على الكثير من الغموض في داخله كما نجد في قول الروائي "سجية الصحراء" أنها تغير رموزها ولا تثبت على خلقة واحدة"[1] فهذا يدل على أن الصحراء تترك اثرا في نفسية الشخصيات وتساعدها على التنقل من مكان مغلق الى مكان مفتوح وانها تغير من رموزها وحياة افرادها الذين يعيشون في قلب طبيعتها مما تتيح لهم حريه التنقل كما نجد في قوله "أيضا ايفر الواحد بارادته من رحابه العيش الى الخلاء المخيفة ثم يتمنى من الله رزقا"[2] فهذا دلالة على أن الصحراء تبعد الخوف في بعض الاحيان وقد تكون فضاء واسع لتخلق تصورات عجيبه للشخصيات مما يجعلها تتحرك وتبحث عن مكان اخر في قوله "الى مكان اسمه تاس يبعد حسب تقدير رجالي مسافه يومين من المسير"[3] وفي قوله أيضا "عشت بها زمنا غير أن تغير احوالها دفعني إلى هجرتها"[4] فالاحداث داخل الرواية هي التي تجعل من الشخصية التحرك والتنقل في البحث عن مكان آخر ليخلق بهذا انسجاما داخل المتن الروائي وفي قوله أيضا "في حين اوجف عثمان ناحية داوود واخذ بيده يحذوه على السير حالا ناحية الجبل الأسود "[5] فهذه الغاية الوحيدة التي يسعى إليها عثمان من اجل الوصول الى جبل الذهب وهو التنقل مع داوود الى الجبل ليكون كأداة في السير ناحية هدفه

[1]- محمد بن زخروفة: هجرة النار، ص 185.

[2]- المصدر نفسه ص 186.

[3]- المصدر نفسه ص 195.

[4]- المصدر نفسه ص 196.

[5]- المصدر نفسه ص 216.

خاتمة

الخاتمة

وفي ختام بحثنا الموسوم بحركية المكان في رواية هجرة النار لمحمد النار لمحمد بن زخروفة ومن خلال فصوله اتضح لنا أن للمكان أهمية في بناء أحداث الرواية وسردها من خلال الشخصيات التي تعطي صورة جوهرية داخل العمل الروائي ومن بين النتائج المتوصل إليها ما يلي:

– تعد رواية هجرة النار لمحمد بن زخروفة من الروايات الأدبية التي تحدث فيها عن الوضع الانساني الكارثي بأقصى الجنوب خاصة عبر الحدود.

– العجائبية والغرائبية في رواية هجرة النار من خلال السحر والشعوذة التي يقوم بها الشخصيات داخل الرواية.

– الرواية ترصد مأساة سكان أقصى الجنوب الجزائري الذين يعيشون حياة بدائية في تلك القرى محرومين من أبسط وسائل العيش في حين أن باطن أرضهم يزخر بأجود المعادن النفيسة.

– ساهمت الشخصيات في تكوين المكان وبناءه في الرواية عن طريق حركتها التي تثبث في المكان حيوية.

– الشخصيات التي وظفها محمد بن زخروفة هي شخصيات عادية تتصارع فيما بينها للوصول إلى هدف معين وهو الوصول إلى جبل الذهب.

– جرت احداث الرواية على فضاءين أحدهما مغلق واخر مفتوح. فالفضاء المغلق يتمثل في القرية. الصحراء. السوق. المقبرة وغيرها.

– تحدث الروائي عن معاناة مناطق الظل بسبب العزلة ورتابة العيش ومدى تكييفهم مع قساوة الحياة.

– اختبار الروائي منطقة افتراضية تنتمي إلى الحيز الصحراوي تاس مبرزا حجم الثروات تحت اقدام اهالي المنطقة لتصبح محل اطماع الكثير من التنظيمات.

الملاحق

التعريف بالروائي محمد بن زخروفة

محمد بن زخروفة من ولاية الشلف بلد الجزائر درس شعبة تكنولوجيا ثم انتقل إلى كلية الاداب بجامعة حسيبة بن بوعلي ولاية الشلف وتحصل على أثرها على شهادة ماستر تخصص لسانيات عامة.

صدرت له سنة 2015 رواية " رحلة الشقاء " وفي طبعة ثانية عن وزارة الثقافة صدرت سنة 2019، وهي الرواية التي حاز بها سنة 2016، على جائزة رئيس الجمهورية للمبدعين الشباب.

فاز بجائزة وطنية في مجال القصة القصيرة سنة 2017.

صدرت له سنة 2016 عمل روائي ثان بعنوان،" زارة.....الحب المقدس ".

صدرت له سنة 2018 رواية بعنوان " سيغون ستارغو ".

صدرت له سنة 2020 رواية بعنوان " هجرة النار ".

حضر عديد البرامج الثقافية التلفزيونية والاذاعية الجزائرية والعربية.

ملخص الرواية:

هجرة النار هي رواية أدبية مقسمة إلى ثلاثة أجزاء (العبور الاول والثاني والثالث) فيها 40 فصلا يكشف الروائي عن مأساة سكان اقصى الجنوب الجزائري، الذي يزخر باطنها باجود الخامات وأنفس المعادن، غير أن شعبها لا يتوفر على ابسط ظروف العيش، رغم هذا تصبح هذه المنطقة مسرحا لصراع جماعات مختلفة حول الذهب:

العبور الاول:

تنطلق الأحداث من خلال رسالة غريبة ومبهمة تقع بين يد المعلم الوحيد بالمنطقة وهو بوسعيد الذي أصابه الجنون المفاجئ في القرية، واثناء ذلك تكثر الأقاويل حول سبب جنون الرجل، وبعد هذا الحدث يكشف حارس العربات ليلا الحاج عمير قبرا، ليسرد على الناس الملتحقين حوله كيف لاحظ أشباح رجال غرباء وعلى أكتافهم معاول من غير أن تتضح مله ملامحهم، ثم وبعد يومين وهلال فترة الفجر، يعود الرجال وينشلون جثة على مرأى من امامه. فذهب إلى المسجد لإبلاغ الشيخ ما حدث في اليوم الموالي تسرع الجماعة ناحية المقبرة نار عظيمة ترتفع أمام شجرة أسفل المقبرة وهي شجرة الجيمز. التي شكلت هاجسا وخوف كبيرا لدى السكان لسنوات كثيرة وقد اتفقو على تسميتها بالشجرة الملعونة، فعاد الحاج عمير والشيخ ادريس إلى المسجد، مل هذه الاحداث سببها المشعوذ بوبكار ورجاله يجتمعون وأخته أو في بيت الخوجة الذي يساعدهم في جرائمهم، وكان للخوجة خدم جعفر وابنه محمود وزوجته عابدة التب اختفت واصبحت قربانا لسحرهم فبعد مدة اكتشف جعفر أن الخوجة هو من قتل زوجته فينتقم منه. ليسرع بوبكار لخطة ثانية والبحث عن اليد الزهرية، فارسل جاسر إلى العاصمة ليعرف مدى تطور مرض هند التي أصيبت بالصرع والجنون، بفضل المحلول الكيميائي الذي يحقنه الطبيب فوزي كل شهر، فقامو بإحضار القربان إلى تاس ووضعها داخل حجرة بوبكار لتكون جاهزة للسحر، هنا نكتشف سبب جنون المعلم وحيد بالمنطقة وهي الرسالة التي وجدها

داخل بيت الخوجة، فعند عودت بوسعيد، من المرعى إلى بيته بتاس وجد اثناء قرية بالطريق فهرب إلى الجهة الخلفية لبيت الخوجة، فوجد نفسه في حجرة بوبكار، وفيها وجد البنت، فحاول مساعدتها، ولكنه صدم رأسه فوقع مغشيا وعندما أفاق وجد نفسه من رجال بوبكار، فحقنوه بالسم وتركوه على الطريق لا يعرف أن يضع قدميه، وفي طريقه وجد من أعطاه المضاد لسم.

العبور الثاني:

وفي أحداث متفرقة نجد أصابة بنت الخوطة بالصرع فذهب الشيخ ادريس لمعجالتها. فيقع في حبها فأخبر الحاج عمير انه يريد الزواج منها، وبعد مدة تزوج الشيخ ادريس وعاشا مدة قصيرة في المسجد، وبعدها يقرران الرخيل إلى بيت الشيخ ادريس هناك رزقا بـ 3 اولاد (سعيد ومعتز وفيروز) وكان في بيته قبو فيه مخططات تركها له أبوه بعدها تفتح لنا الرواية منافذ متفرقة على حياة أغنى رجال الذهب، مع تسليط الضوء على بعض جوانب حياتهم الخفية، فكل محطة يكشف ادريس أن ابطالها عبارة عن حلقات عبور ليصل إلى جيل الذهب ولكن اغنى رجل في المحطات كان كانجامانسا زعيم وامبراطور اسطورة الذهب الذي يمارس السحر للوصول إلى هذا الجبل بعد مدة مرض الشيخ ادريس مرضا لا يستطيح للحراك بسبب تخليه عن الألواح. ولكن بمرور الاعوام جاء أحد العطارة واعطاه الترياق ليقوم من مرضه، وبعد هذه المرحلة فقد ادريس زوجته ليعيش في حزن كبير، بأيام قليلة توفي الشيخ وترك الالواح لابه معتز.

العبور الثالث:

كل هذا الاحداث والصراع بعد عودة داوود إلى تاس مع زوجته وابنه ورجاله، لتلبية وصية أبوه بوسعيد الذي طلب منه البحث عن عباس الذي كان له الفضل في أنقاض حياته، وفي طريقهم إلى تاس وجدو رجل غريب يطلب النجدة فأسعفوه. بعد يومين وصلو إلى تاس، التي أصبحت تتزين بافكار المدينة، لها سوق كبير ومقاهي وبلدية برأسها الشيخ هرم يدعى صهيب،

أما القبر الذي كان مفتوحا اصبح قبر ولي صالح (محمد التاسي) فذهب عثمان إلى السوق يتطول رآه محمود بائع اللا قمي فتعجب منه فاسرع إلى ابراهيم ابن الخوجة واخبره بالامر، ففرح ابراهيم بالخبر الذي اعتبره دليل اكتشاف الذهب ،اما سعيد استولى على الذهب الموجود في القبو، وعند عودة معتز اال البيت اخبرته اخته بما حدث فاعتبره دليل انكشاف جبل الذهب، ليتجه إلى الجبل الايود ولحقه داوود إلى نفس الاتجاه ولكن عند وصول عباس إلى الجبل وجد معتز قد سند إلى قمة الجبل، فأنطلق عثمان شق طريقه إلى هدف جديد.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

اولا المصادر:

1* محمد بن زخروفة: الجزائر تقرا، الجزائر الوسطى، السداسي الثاني، 2020.

ثانيا القواميس والمعاجم

1* ابراهيم مصطفى واخرون: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر.

2* ابن اسماعيل بن حمادة الجوهري: الصحاح تاج اللغة العربية وصحاح العربية، تحقيق احمد عبد الغفور عطار: دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ج1، 1999-1979، مجلد 6.

3* أبو البقاء ايوب بن موسى الحسيني: معجم المصطلحات والفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1998.

4* جميل صليبا: المعجم الفلسفي، الشركة العالمية للكتاب، مكتبة دار الكتاب العالمي، لبنان، 1999.

5* جيرالد برانس: قاموس السرديات، ترجمة السيد الامام ميريث للتشر والمعلومات، مصر، ط1، 2003.

6* شوقي ضيف: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط1، 2004.

7* مجمع اللغة العربي، الوجيز، القاهرة، مصر، ط1 1980.

8* ابن منظور لسان العرب: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ج2، ط 1 ،1993.

ثالثا المراجع:

1* ابراهيم عباس: الرواية المغاربية (تشكيل النص السردي في ضوء البعد الاديولوجي) دار الرائد للكتاب، الجزائر ط1، 2005.

2* اوريدة عبود: المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية، دراسة حالة بنيوية لنفوس ثائرة.

3* حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الرواية)، الدار البيضاء المركز الثقافي العربي، بيروت ط1 ،1990

4* حسن نجمي: شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية، ط1.

5* حميد الحمداني: بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1991

6* حميد عبد الوهاب البدراني: الشخصية الاشكالية دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 2013، دمشق، ط1، 2011.

7* سمير روحي الفيصل: ملامح في الرواية العربية، منشورات اتخاذ الكتاب العربي، دمشق، ط1، 1989.

8* سيزا قاسم: القارئ والنص والعلامة والدلالة، المجلس الاعلى الثقافة، القاهرة، دص، 2002.

9* سيزا قاسم: بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ.

10* شاكر النابلسي: جماليات المكلن الروائي.

11* الشريف حبيلة: بنية الخطاب الروائي في روايات نجيب الكيلاني، عالم الكتاب الحديث ط1، 2010.

12* عبد الحميد بورايو: منطق السرد، (دراسات في القصة الجزائرية الحديثة) ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1994.

13* عبد المالك مرتاض: تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية جمالية لرواية زقاق المدق.

14* غاستون باشلار: جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية الدراسات والنشر ط2، بيروت 2008.

15* فتيحة كحلوش: بلاغة المكان (قراءة في مكانية النص الشعري) الانتشار العربي بيروت، ط1، 2008.

16* محمد ابراهيم: تجليات المكان في السرد الحكائي، فضاء النشر والتوزيع، عمان الاردن، ط1، 2009.

17* محمد عزام: شعرية الخطاب السردي، دراسة منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، ط،2009.

18* مهدي عبيدي: جماليات المكان في ثلاثية خاصة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب.

19* هنري متران واخرون: الفضاء الروائي.

20* ياسين النصير: الرواية والمكان دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986.

21* يوري لوتمان واخرون: جماليات المكان، ترجمة سير قاسم، دار قرطبة، الدار البيضاء، ط2، 1988.

22* يوري لوتمان: مشكلة المكان (في ترجمة سيزا قاسم مجلة ألف)، البلاغة، المقارنة، القاهرة العدد السادس 1986.

رابعا المجلات:

1* خالدة حسن خضر: المكان في الرواية الشماعية للروائي عبد الستار ناصر، مجلة كلية الاداب، جامعة بغداد، العدد 3.

2* غالب هلسا: المكان في الرواية العربية، ترجمة جورج طرابشي، منشورات دار الاداب، ط1.

3* كلثوم مدقن: دلالة المكان في رواية (موسم الهجرة إلى الشمال لطيب صالح)، مجلة الاداب واللغات، جامعة ورقلة، الجزائر، 2005، العدد الرابع.

الملخص

هذا البحث يتمثل في حركية المكان في رواية هجرة النار لمحمد بن زخروفة وقد تم استهلاله مقدمة وفصلين تناولنا في الفصل الأول ماهية المصطلح تطرقنا فيه الى تعريف المكان وأهميته وأنواعه أما الفصل الثاني تناولنا فيه حركية المكان تطرقنا فيها الى المكان المفتوح والمكان المغلق وختمنا بحثنا بخاتمة ضمت أهم النتائج في رواية هجرة النار لمحمد بن زخروفة.

الكلمات المفتاحية: حركية المكان، محمد بن زخروفة، هجرة النار، المكان الفتوح، المكان المغلق.

SUMMARY

This research consists of the movement of the place in the novel Migration of Fire by Muhammad bin Zakharrouf. It was initiated by an introduction and two chapters. In the first chapter, we dealt with what is the term. We touched on the definition of the place, its importance and types. The second chapter dealt with the movement of the place, in which we touched on the open place and the closed place We concluded our research with a conclusion that included the most important findings in Mohammed bin Zakharwa's novel The Migration of Fire.

Keywords: movement of the place, Muhammad bin Zakharfa, migration of fire, open space, closed place.

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة: .....أ

المبحث الأول: مفهوم المكان 6

1- لغة: 6

2- اصطلاحا: 8

المبحث الثاني: أنواع المكان 11

1- عندي: 11

2- عند الآخرين: 11

3- الأماكن العامة: 11

4- المكان اللامتناهي: 12

1- فضاء العتبة: 13

2- المكان الخارجي: 13

3- المكان الداخلي: 13

4- المكان المعادي: 14

1- المكان الاليف: 14

2- المكان المعادي: 14

1- المكان الموضوعي: 16

2- المكان المفترض: 16

1- المكان المجازي: 16
2- المكان الهندسي: 17
3- المكان كتجربة معاشة: 18
4- المكان المعادي: 19
1- المكان المسرحي: 19
2- المكان التاريخي: 19
3- المكان الأليف: 19
4- المكان المعادي: 20
1- أماكن الاقامة 20
2- أماكن الإنتقال: 21
1- المكان الفردي: 21
2- المكان الجمعي: 22
1- الأماكن المفتوحة: 22
2- الأماكن المغلقة: 23
المبحث الثاني: أهمية المكان 25
المبحث الأول: الأماكن المفتوحة 34
1- الأماكن المفتوحة: 34
1- القرية: 36
2- الصحراء 41

3- المقبرة: 42
4- السوق: 44
5- الجبل: 47
6- العاصمة: 50
المبحث الثاني: الأماكن المغلقة 50
المكان المغلق: 50
1- المكتب: 52
2- البيت: 53
3- الغرفة: 56
4- السقيفة: 59
5- القبو: 60
6- الكوخ: 63
7- الخيمة: 64
8- المسجد: 67
المبحث الثالث: حركيا المكان في الرواية 70
الخاتمة 76
التعريف بالروائي محمد بن زخروفة 79
ملخص الرواية: 80
قائمة المصادر والمراجع 84

فهرس الموضوعات 90
الملخص 88